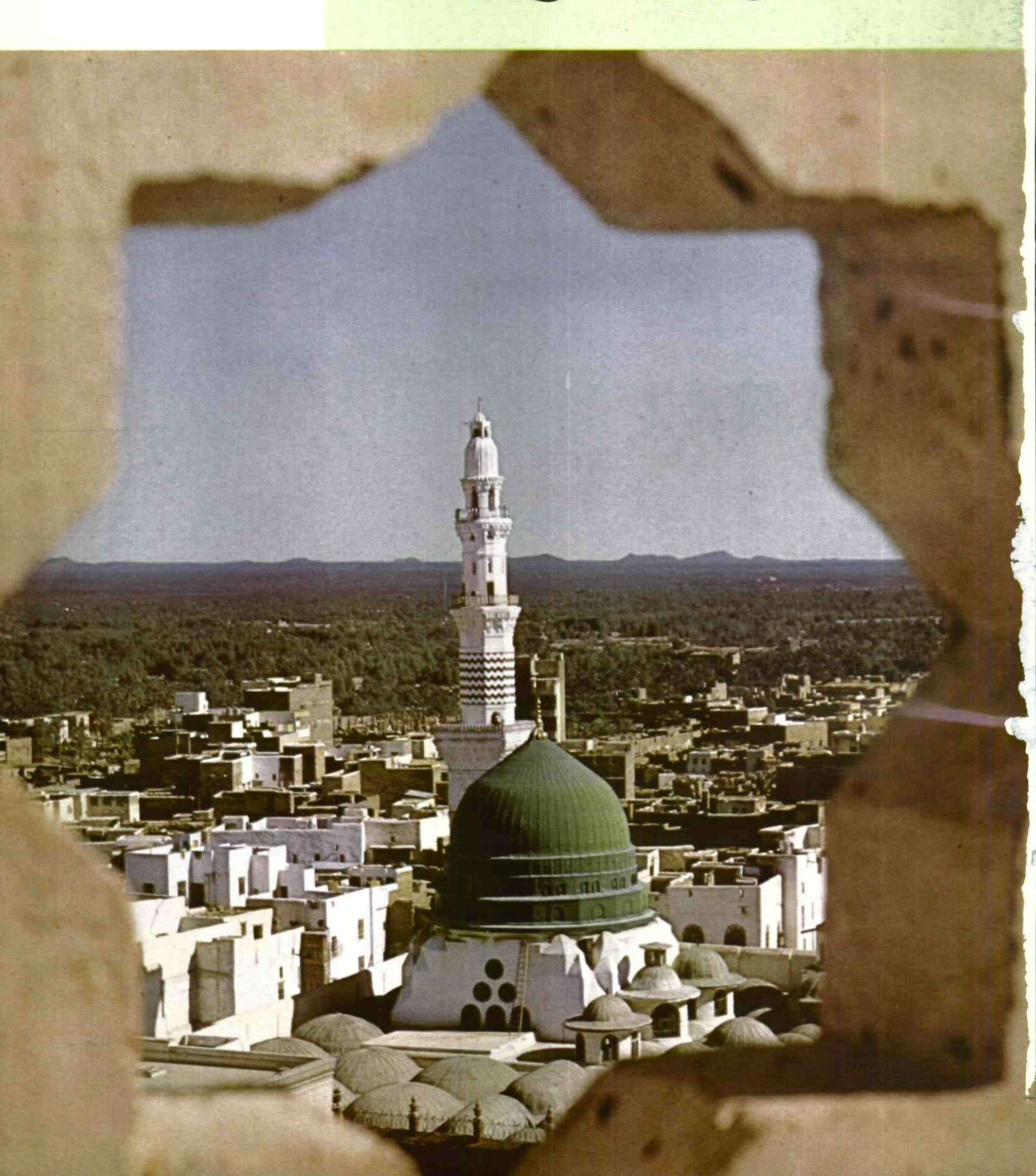
قافلة الزيت

رمضان المبارك ١٣٨٧
ديسمبر ١٩٦٧



بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد

صورة الغلاف

يزدحم المسجد النبوي الشريف بالمصلين خلال شهر رمضان المبارك .

تصوير : شيخ أمين

تصميم وطباعة مطابع المطوع

Designed and printed by Al-Mutawa Press, Dammam, Saudi Arabia

القافلة تسير

على قاب قوسين

سألته مستفسرا عن سبب كآبته وعن دواعي الحزن الذي بدا واضحا على قسمات وجهه . وكان ظني أن أمرا خطيرا قد حل به أو خسارة لحقت بتجارته .

ولم يخف على صديقي ان استفساري كان من باب المودّة وبقصد المساعدة فقال دون تردد : ماذا أقول لك ، انني امرؤ فاشل في كل شيء ، فاشل في عملي وفي حياتي وفي علاقاتي مع الآخرين .

وفوجئت بموجة اليأس العارمة هذه تطغى على الرجل ولم أكن أعرفه الا متفائلا يعلل النفس بالآمال العراض والأحلام المزهرة ، فقاطعته قائلا : ترفق بنفسك قليلا يا أخي ولا تتجن عليها بآرائك هذه .

ولم يكن في كلامي ما يكفي لتهدئة أعصابه وبدا عليه أنه ازداد اصرارا على رأيه محاولا أن يثبت صحة ما يدّعيه بقوله : انني لا أعرف كيف أتصرف بحكمة . أعمالي وأقوالي كلها سلسلة متصلة من الأخطاء .. فإن أبديت رأيا أخطأت فيه ، وان قمت بعملية تجارية أخطأت في تقديري لابعادها ونتائجها واحتمال نجاحها أو فشلها ، حتى بت أخشى أن أبدي رأيي في أي موضوع كان ، وأصبح التردد عادة متأصلة لديّ نتيجة انعدام الثقة في نفسي .

وبعد محادثة طويلة بحثنا فيها الموضوع من جميع نواحيه ، قلت لصديقي ما معناه أن الأمر على ما يبدو ليس بالصعوبة والتعقيد اللذين يتصورهما ، طالما أنه يدرك مواطن الداء . وان عليه أن يعيد ثقته في نفسه عن طريق التأني والتريّث .

ولكن صديقي عاد يسأل وعلامات الأسى بادية على قسمات وجهه : والأخطاء الكثيرة التي تعترض طريقي كيف السبيل الى مجابهتها وتفاديها ؟ فقلت له : ولكن كل فرد منا يخطىء أحيانا ويصيب أحيانا أخرى . والخطأ بحد ذاته لا يعتبر عيبا ولا ينقص من قدر المرء وكفاءته اذا صدر عن عجز أو سهو . ولكنه يسيء اليه اذا صدر عن اهمال وعدم اكتراث . ويمكننا تفادي الكثير من الأخطاء التي نتعرض لها يوميا اذا تفادينا التسرع وسلكنا سبل العقل والدرس والتدقيق ، كما يمكننا الاستعانة بذوي الخبرة والراسخين في العلم اذا عجزت امكاناتنا الشخصية عن الوصول الى حلول صحيحة سليمة لما يصادفنا من أمور وصعاب .

وقام صديقي مودعا ، ولم أعرف اذا كان حديثي لاقى أذنا صاغية لديه ، وعقدت العزم على معرفة ذلك لدى أول لقاء بيننا . وحالت بعض الظروف دون لقائه خلال شهرين أو يزيد فذهبت لزيارته في مقر عمله .. ولكنني حين قابلته أحجمت عن طرح أي سؤال حول الموضوع ، فقد كان في بريق عينيه وابتسامته العريضة خير جواب .

فؤاد الريس

قافلة الزيت — العدد التاسع — المجلد الخامس عشر

تصدر شهريا عن : شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفي الشركة - توزع مجانا

مديرها ورئيس تحريرها : سيف الدين عاشور

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩ ، الظهران ، المملكة العربية السعودية

شهر رمضان المبارك

بقلم الاستاذ عبد القدوس الانصاري

شهر رمضان ، شهر مبارك ، ميمون الطالع على المسلمين جليل المكانة في نفوسهم وفي مجتمعاتهم وأقطارهم ، ولذلك يستقبلونه بالأفراح والغبطة والتقدير والترحيب .

وشهر رمضان هو الشهر التاسع من كل سنة قمرية ، وهو الشهر الوحيد الذي فرض الله جل وعلا فيه القيام بركن الصيام على عباده المؤمنين ، البالغين سن الرشد ، القادرين ، المقيمين . والصيام مفروض عليهم في طيلة بياض نهاره ، فإذا غربت الشمس وجب على الصائمين الافطار . ولا يجوز شرعا مواصلة الصيام ، أي صيام ليله ونهاره معا . وقد وضعت عبادة صيام شهر رمضان في المرتبة الرابعة من أركان الاسلام الخمسة .

ومعنى الصيام (شرعا) الامساك عن الطعام والشراب ، وبعض الشهوات المعينة في الفقه الاسلامي طيلة بياض النهار .

وبهذا يكوّن الصيام في مخبره العميق اعتدالا ربيعيا لجسم الانسان وروحه . له حده المحدود في بداية ونهاية ، حتى تتحمله — بيسر — ، طاقة الجسوم المكلفة به ، وحتى يؤدي هو المهمة المزدوجة التي شرع من أجلها خير أداء . وهذه المهمة في معناها الواضح هي أداء مطالب الروح في اشراقته وسموه ، بطاعة الله تعالى فيما أمر ، وأداء مطالب الجسد باصلاح ما أفسده الاسترسال الرتيب من الانسان طيلة أحد عشر شهرا في تناول كميات الطعام والشراب بدون قيد محدد ، أو ضابط مقيـــد .

ونقول بحق : ان شهـــر رمضان شهر مبارك ، لأن هذا الشهر بالذات هو الشهر الذي أنزل فيه القرآن المجيد « هدى للناس وبينات من الهدى » .

وقد حدد لنا القرآن المجيد من عليهم صيامه في قوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه . ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » وقرن هذا التسهيل الحكيم ، وهذه الرخصة الالهية للمريض والمسافر معا ، بان يصوما بدلا عن الأيام التي اضطرا للافطار فيها من شهـــر رمضان — أياما أخر ، ومن شهر آخر — بقوله تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وما دمنا في صدد الحديث عن مزايا شهر رمضان لصحة الانسان وروحـــه وطاقته المادية والمعنوية ، فلا علينا اذا أشرنا بأن المؤمن الصائم المطيع لأوامر ربه ، والعامل على أداء فرائضها الواجبة ونوافلها المستحبة ، هو بطبيعة الحال سيقوم ليالي رمضان ويحييها بصلاة التراويح ، يقرأ منها ما يشاء من القرآن الكريم ، أو ما يتيسر له منه . وهو في قيامه بهذه الصلاة المسنونة في كل ليلة من ليالي شهر رمضان ، يقرن برياضته الروحية في بياض نهاره ، رياضة روحية أخرى في سواد لياليه .. ولكلتا الرياضتين مزاياها المحببة في صهر النفس ، وكسر منطلق شهواتها ، ودحر عنفوان شرورها ، وقهر شياطينها ، والاتجاه بها الى منطلقات الخير والهدى والرشاد . كما أنه في الوقت نفسه يزكي جسده من الأدران ، وينفحه برياضة متحركة تمده في ركوعه وسجوده وقيامه وجلوسه بطاقات من النشاط والحركة والحيويـــة .

ومن الجدير بالذكر أيضا أن نشيد بان المشرع الحكيم قد شرع « وجبتين » محدودتين في اطار الزمان ، لتناول المسلم الصائم طعامه وشرابه في شهر رمضان . وليس للصائم أن ينقل وقت وجبة من هاتين الوجبتين المحدودتي الزمان الى وقت آخر ، والا بطل صيامه فيما اذا نقل وجبة الافطار — مثلا — الى ما قبيل غروب الشمس ، وفيما اذا نقل وجبة السحور الى ما بعد طلوع الفجر . وهو مقترف اثما كبيرا في الحالتين ان كان ذلك منه عن قصد مقصود .

البقية على الصفحة (٤٩)

الانسانية في الشعر العربي

بقلم الاستاذ محمد عبد الغني حسن

يقول النحاة وعلماء الصرف العرب أن لفظة « الانسانية » هي من المصادر الصناعية التي يشترك في تكوينها ياء النسب المشددة والتاء المربوطة في آخرها . وهي لفظة لا تجدها في المعاجم العربية القديمة ، مما يدل على أنها لم تكن في القياس ولا العرف والاستعمال ، وان كنا نجدها في نص للأديب الفيلسوف أبي حيان التوحيدي مـــن مفكري القرن الرابع الهجري ، وقد جاء هذا النص في كتابه المشهور « المقايسات » حيث يقول : (الأنسانية أفق ، والانسان متحرك الى أفقه بالطبع) ، واذا صح استنباطنا أن هذا اللفظ من اختراع أبي حيان ، فانه يكون أول رائد في الميدان .

وخلو معاجمنا القديمة من لفظة « الانسانية » لا يدل على تقصير في الفكرة ، قدر ما يدل على اتجاه في النظرة . فإن أكثر معاجمنا القديمة لم تهتم بالألفاظ الاصطلاحية ، كمصطلحات الفقه والعلوم والفنون . ولقد عابوا على « الفيروز ابادي » صاحب « القاموس المحيط » ايراده لكثير من المصطلحات ، بدعوى أنها ليست من صميم لغة العرب ، وانما هي طارئة مع الحضارة الجديدة .

وقد استدركت معاجمنا العربية الحديثة ما فات المعجم العربي القديم من تسجيل لفظة «الانسانية» ، فرأينا اللغوي الكبير المعلم بطرس البستاني يدخلها — لأول مرة — في « محيط المحيط » . ورأينا صاحبي « أقرب الموارد » و « المنجد » ينقلانها عنه ، كما نقلها أيضا عبد الله البستاني في معجمه « البستان » وأطلق في مقابلها لفظة « البشرية » . أما مجمع اللغة العربية في مصر فقد جارى أصحاب المعاجم القديمة ، فأغفل ادراج اللفظة في «المعجم الوسيط » الذي صنفه أربعة من أعضائه ، كما أغفلتها « الموسوعة العربية الميسرة » مع أنها كانت ألصق بأبوابها ، وأدخل في موادها وموضوعاتها . وكذلك فعل العلامة اللغوي المرحوم الشيخ أحمد رضا ، فلم يدخلها في معجمه الكبير « متن اللغة » مع أنه أدخل فيه كثيرا من الألفاظ المولدة والمعربة حديثا .

مسكينة « الانسانية » ! لقد ظلمت حتى على يد أهل اللغة وأصحاب المعاجم ولم ينصفها الا قلة من المعجميين المعاصرين . ولكن الله عوضها خيرا على يد الشعراء الذين وسعوا أفقها أكثر مما عرفه أبو حيان التوحيدي ، فأحالوها في أشعارهم الى معان رفيعة ، وأهداف سامية . ولم يتناولوها بالتعريف قدر ما تناولوا آثارها في الحياة ومظاهرها في المجتمع . فالشعراء ، عـادة ، لا يهتمون بالتعريفات قدر ما يهتمون بالأهداف والغايـــات .

و « الانسانية » في تعريف اللغويين العرب المعاصرين هي : « ما اختص به الانسان . وأكثر استعمالها لمحامد الأخلاق ومحاسن النفس ، من نحو الجود وكرم الأخلاق(١) على أن بعض شعراء العرب المحدثين لم يفتهم أن يعرّفوا « الانسانية » بالحدود كما عَرفوها بالآثار والمظاهر في أشعارهم . فالشاعر المهجري شفيق معلوف يعرفها بقوله : « انها شعور الانسان مع الانسان بكل ما في هذا التعبير من شمول . وأذهب الى أبعد من ذلك فأقول : هي أيضا شعور الانسان مع الحيوان والنبات . وأحيانا شعوره — بدافع الألفة — مع الجماد . فهذا العطف الذي يدفع الجنس الى الحدب على جنسه يتعذر خلقه غالبا الا في الانسان » . والشاعر المهجري جورج صيدح يعرفها بقوله : « لقد عرفتها عن طريق ضميري ووجداني ، واكتفيت بذلك . انها في البدء شعور غريزي بقرابة تربطني

(١) هذا هو تعريف محيط المحيط والمنجد وأقرب المـوارد .

ببني الانسان، وبتضامن مع جميع خلق الله . وهي بعد ذلك عمل ايجابي وسعي صادق لخدمة البشرية في حدود مواهبي وامكاناتي ... »

وهذا « التضامن » الذي يشعر به الشاعر العربي جورج صيدح هو نفسه الذي أشار اليه الفيلسوف الفرنسي « أوجست كونت » (Comte) حين تحدث عن « الانسانية » بأنها وحدة اجتماعية سرمدية كبرى ، تتصف بصفتين أساسيتين اجتماعيتين وأخلاقيتين ، وهما : صفة التضامن ، وصفة الاستمرار . وهذا التضامن ضروري للإنسان ، لأنه ليس انسانا حقيقيا الا باسهامه في الانسانية ، ولأن حياته ليست الا نسيج ما تمنحه الانسانية .

وليست اللمسات الانسانية جديدة على الشعر العربي . فإن العلائق الوجدانية بين الانسان والانسان قديمة منذ خلق الله الناس على الأرض . ولكن هذه اللمسات تزيد ويتسع مداها ، ويقوى نبضها تبعا لاعتبارات نابضة من ظروف المجتمع نفسه . ولا شك أن النزعة الفردية القديمة ، وغلبة العواطف الذاتية وتضخمها قد شاركت في حجب النزعة الانسانية عند القدماء . وفي غمار تلك النزعات الفردية ضاع الحس الجماعي والمشاركة العامة ، وخاصة فيما يؤلم الآخرين . واذا كانت العاهات اليوم تثير فينا الألم لغيرنا وتدعو الى الاشفاق والرثاء لهم ، فانها كانت في المجتمعات القديمة مثارا للسخرية ومبعثا للإضحاك . ويكفي ما لقيه الشعراء والأدباء أمثال : الجاحظ ، وبشار ، والرشيد الأسواني من سخر وتندر على عاهاتهم .

ومن نفحات « الانسانية » أنها قد تبرز حتى في الأوساط والظروف التي ليست مظنة لظهورها . فقد كان الشعراء المسمون بالصعاليك في العصر الجاهلي يجدون في السطوات والغارات ، وفي الغنيمة منها موردا لقضاء ما يعتقدون أنه حقوق الفقراء عليهم . ويقول شاعرهم في هذا المعنى :

دعيني أطوّف في البلاد لعلني
أفيد غنى فيه لذي الحق محمل
أليس عظيما أن تلم ملمة
وليس علينا في الحقوق المعول ؟

واذا كانت « الانسانية » تحمل من معانيها اهتمام الانسان بأمر أخيه الانسان ، فإن شاعرنا القديم قد عبر عن هذا الاهتمام بقوله في وصف انسان :

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها   فكانت قذى عينيه حتى تجلت

فهذا الصديق الانسان رأى في صاحبه فقرا خافي المكان لأنه يستره ، فلم تهدأ نفسه ، ولم تنجل غمامة عينه الا حين أعانه على جلاء هذه الغمة . وليس أبلغ من هذا في التفقد الشديد والغاية التامة بكشف غمة المعوزين .

وهذا الاهتمام الشديد بأمر الغير كأنه الاهتمام بأمر النفس ، قد عبر عنه الشاعر الجاهلي « أمية بن أبي الصلت » بقوله :

اذا ليلة نابتك بالشكو ، لم أبت   لشكواك الا ساهرا أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي   طرقت به دوني ، فعيني تهمل

وقد يكون من مجالي « الانسانية » الاغضاء عن عيوب الآخرين ، وغض العين عن أخطائهم ، ولكن الشاعر العربي القديم زاد على اللمسة ما جعل المعنى الانساني فيها كريما . فهو يقول في صفة قومه الذين يصح نعتهم بكلمة « الآدميين » :

لا يفطنون لعيب جارهمو   وهمو لحفظ جواره فطن

وهل كان شاعرنا « معن بن أوس المزني » الا انسانا عريقا في انسانيته حين لم يقابل واحدا من ذوى رحمه بمثل ما قابله هو به ؟ ونتركه يصور لنا مفارقات السلوك بين الاثنين قائلا :

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه   بحلمي عنه ، وهو ليس له حلم
اذا سمته وصل القرابة سامني   قطيعتها ، تلك السفاهة والظلم !
وأسعى لكي أبني ، ويهدم صالحي   وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم
فما زلت في ليني له وتعطّفي   عليه كما تحنو على الولد الأم
لأستلّ منه الضغن حتى سللته   وان كان ذا ضغن يضيق به الحزم

ويذكرنا هذا الموقف الانساني النبيل بقول الشاعر الأموي « المقنع الكندي » في المعنى نفسه :

وان الذي بيني وبين بني أبي   وبين بني عمي لمختلف جدا
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم   وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم   وان هم هووا غيي هويت لهم رشدا
لهم جلّ مالي ان تتابع لي غنى   وان قلّ مالي لم أكلفهم رفدا

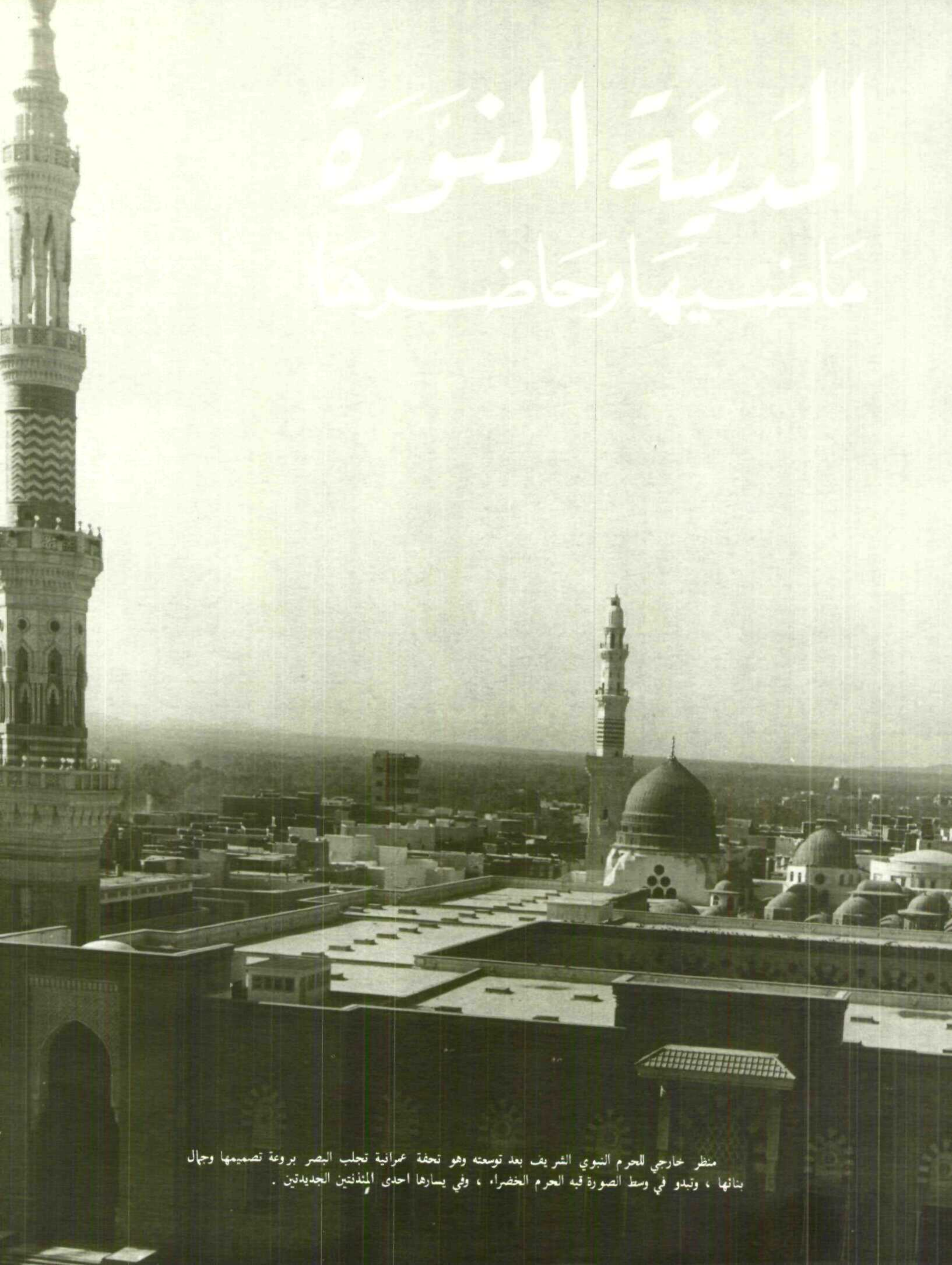
ولقد ظهرت النزعة الانسانية قوية المعالم في شعر أبي العلاء المعري ، على الرغم من انحصاره في محبسيه : محبس العمى ، ومحبس المنزل . فقد أراد السمو بالانسان بالحياة البشرية عن طريق نقده للمجتمع ، فلم تكن انسانيته لمحات عوابر ، أو خطرات قيد اللحظة ، ولكنها انسانية أصيلة راسخة الجذور . واذا كان التعاطف الانساني بين الانسان والانسان من ملامح الانسانية ، فإن أبا العلاء المعري قد وسع نطاق هذه العاطفة نحو الحيوان والطير أيضا .

والقيم الانسانية التي اهتم الشعر العربي الحديث بابرازها كثيرة ، كالحب ، والأخاء ، والبذل ، والجود ، والتضحية ، والاحسان ، والحس بآلام الآخرين ، والاغضاء عن عيوبهم ، ونشر فضائلهم ، والكف عن الأذى ، والتماس السعادة في سبيل اسعاد الغير ، والعطف حتى على الحيوان ، بل الجماد ، والعاطفة الأسرية . ويتوج هذا كله عاطفة الوطنية التي لا تتنافى مع النزعة الانسانية بل تسايرها ، حتى تظهر كرامة الانسان في وطنه فتتحقق كرامة الانسانية فيه .

لقد أثارت هذه الخواطر السانحة في النفس قراءة كتاب جديد ضخم صدر أخيرا للكاتبة السورية المجتهدة الآنسة عزيزة مريدن ، وقد جعلت شطره عن الانسانية في شعر المهجر الجنوبي . ولقد أجادت الكاتبة الفاضلة معالجة الموضوع في مجاله المهجري ، كما أحسنت عرض النماذج الجيدة من شعر شفيق معلوف ، وجورج صيدح ، والشاعر القروي ، والشاعر المدني ، ونعمة قازان ، ونصر سمعان ، وشكر الله الجر ، والياس فرحات ، وتوفيق بربر ، وزكي قنصل ، وميشيل مغربي ، وحسني غراب ، وفوزي المعلوف ، وجورج صوايا وغيرهم .

على أن انحصار هذه الدراسة الجادة في المهجر الجنوبي يحملنا هنا على الاشارة الى جوانب انسانية رفيعة لم تدخل في نطاق هذا الكتاب الرصين ، كالذي نجده في شعر معروف الرصافي ، وأحمد صافي النجفي ، ومحمد صالح بحر العلوم ، وايليا أبو ماضي ، وميخائيل نعيمة ، وجبران خليل جبران ، والأخطل الصغير ، وخليل مردم بك ، وطانيوس عبده ، وعبد الحميد السنوسي ، ومحمد الجيار ، وعبده بدوي ، وكامل أمين ، وغيرهم .

المدينة المنورة ماضيها وحاضرها



منظر خارجي للحرم النبوي الشريف بعد توسعته وهو تحفة عمرانية تجلب البصر بروعة تصميمها وجمال بنائها ، وتبدو في وسط الصورة قبه الحرم الخضراء ، وفي يسارها احدى المئذنتين الجديدتين .

طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

ورقّ الانشاد ، وابتهجت البلدة الآمنة بمطلع البدر الحبيب الذي غمر نور دعوته تلالها ووهادها وسهولها وجبالها فانبثق يملأ الأرض رحمة وعدلا ، وأخذت تطل على العالم مأوى لمنقذه وسيده ورسول خالقه اليه ، ومعقلا للأباة الصيد من أصحابه الذين لم يبخلوا في سبيل دعوة الحق والخير والسلام بدمائهم الزكية أو بأرواحهم الطاهرة ، فسطر اسمها التاريخ بقدسية وفخار ، وتوجتها الفتوحات الاسلامية بأكاليل غار ، فكانت عاصمة دولة الاسلام الأولى وثانية أقدس مدينتين في دياره ... تلك هي المدينة المنورة ، مدينة الرسول التي قال (عليه السلام) في فضلها : « ... المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . لا يدعها أحد رغبة عنها الا أبدل الله فيها من هو خير منه . ولا يثبت على لأوائها الاكنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة ».

موقعها وآثارها

تقع المدينة المنورة على خط عرض ٣٢ً ٣٤ْ شمالي خط الاستواء ، وعلى خط طول ٥٠َ ٣٩ْ شرقي غرينتش على مسافة ٢٦١ ميلا (٤٢٢ كيلومترا) من جدة ، في سهل واسع يرتفع عن سطح البحر حوالي ٢٠٠٠ قدم (٦١٠ أمتار) . ويبلغ متوسط الحرارة السنوية فيها ٧٠ْ ف (٢١ْ م) وتصل حرارتها العظمى الى ١١٣ْ ف (٤٥ْ م) والصغرى ٢٣ْ ف (٦ْ م) .

وقد عرفت المدينة المنورة بأسماء عديدة منها يثرب ، وطيبة ، والعذراء ، ودار الهجرة ، ومدينة النبي ، ومن هذا الاسم الأخير أخذت اسمها الذي تشتهر به الآن .

ويذهب بعض المؤرخين الى أن العمران في المدينة قد بدأ منذ ألف وستمائة قبل الميلاد (٢٢٢٢ سنة قبل الهجرة)

والمدينة مسقط رأس أم الرسول عليه السلام ومقر هجرته ، ومنها وجّه النبي قواده وجيوشه في غزوات بدر ، وأحد ، وقريظة ، وخيبر ، وغيرها حتى وحد العرب ، فوجهها لغزو الروم . وفيها جدته وقبر والده وقبور الكثيرين من آل بيته وأصحابه .

ومعروف أن المدينة كانت ، ولا تزال ، كنزا من كنوز الآثار الاسلامية من مساجد ودور وقصور وحصون وبلاطات وأمكنة تاريخية ، وآبار وعيون مما لا يتسع المجال هنا لحصره(١) .

والمدينة أغنى ما تكون بمساجدها ، ويكفيها فخرا أن يتوسطها الحرم النبوي الشريف ، مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . وقد بناه الرسول بمساحة قدرها ٢٤٧٥ مترا مربعا في المربد أمام بيت آل النجار بعد أن هاجر الى المدينة ، وقد رفع أساسه بالحجارة وسقف بعضه بالجريد وجعلت أعمدته من جذوع النخل . ثم تعاقب عليه خلفاء المسلمين وسلاطينهم ترميما وتجديدا وزيادة حتى بلغت مساحته قبل التوسعة السعودية في هذا العصر حوالي (١٠٣٠٠) متر مربع . ثم جاءت التوسعة السعودية فأضافت ما مساحته ٦٠٢٤ مترا مربعا الى عمارة المسجد ورممت ما مساحته ٦٠٤٧ مترا مربعا ، وبذلك أصبحت مساحة المسجد الاجمالية الآن (١٦٣٢٧ مترا مربعا) ، واتخذ شكله البديع الحالي الذي يبهر العقل بجماله وفن عمارته ونقوشه وزخرفته .

وللمسجد الآن أبواب عشرة ومئذنتان يبلغ ارتفاع كل منهما سبعين مترا ، وهو منار بالكهرباء ، مجهز بالمراوح الضخمة ، مفروش بأفخر السجاد ، وتقوم على خدمته هيئة من أفاضل الناس . وتلفت النظر آلاف طيور الحمام الوادعة التي ترفرف في أجوائه آمنة مطمئنة . وقد جاء في فضل المسجد النبوي قول الرسول (عليه السلام) : « من صلى في مسجدي أربعين صلاة لا تفوته صلاة كتبت له براءة من النار وبراءة من العذاب وبراءة من النفاق . » وقوله (عليه السلام) : « الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة وفي مسجدي بألف صلاة وفي بيت المقدس بخمسمائة صلاة . »

وتحيط بالمسجد ساحة مبلطة نظيفة تقوم عند نهايتها مئات الدكاكين الصغيرة التي تغص بمختلف أنواع البضائع مما يحمله الحجاج والزوار الى ذويهم اذ يغادرون المدينة ، فكأن المكان بعد كل صلاة خلية النحل تعج بالحركة والنشاط .

وفي جنوب غرب المدينة يقوم مسجد «قباء» ، وهو أول مسجد أسس على التقوى ، وقد بناه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أوشك أن يصل المدينة مهاجرا ، وتعاقبت عليه كذلك أعمال الترميم والتجديد ، وورد في فضله قول الرسول (عليه السلام) : « الصلاة في مسجد قباء كعمرة . »

وهناك مسجد « الجمعة » الواقع في بطن وادي رانوناء ، وسمي كذلك لأن الرسول صلى فيه صلاة الجمعة اذ أدركته في موضعه . وقد جدد عمارته الملك المظفر بايزيد العثماني حوالي سنة ٩٠٠ هـ . ومسجد المصلى أو الغمامة الواقع في جنوب غرب المناخة(٢) ، والذي بني حيث كان الرسول يصلي صلاة العيدين ، وكان آخر من جدده السلطان عبد الحميد الثاني ، ولا تزال عمارته قائمة الى اليوم بقبابها الست المستقره على عقود ترتكز على أعمدة بيضاء ناصعة . وقد انتقلت صلاة العيدين منه الى المسجد النبوي نظرا لاتساع هذا وكثرة عدد المصلين .

وفي المدينة أيضا من المساجد مسجد الفتح الواقع عند منحدر من جبل سلع شمال غرب المدينة ، وهو مبني من عهد الرسول(٣) ، وفيه أو في موقعه ، كان الرسول يدعو على الأحزاب حتى خذلهم الله وانهزموا . وهناك أيضا مسجد القبلتين ، حيث صلى الرسول متجها الى بيت المقدس وما كاد يتم الركعتين حتى أمر بالتوجه الى الكعبة وبذلك سمي المسجد مسجد القبلتين . وهناك مسجد السقيا ومسجد الاجابة ومسجد السجدة وغيرها كثير . وتروي كتب التاريخ أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد صلى في ثمانية وعشرين مسجدا في طريقه للحج الى مكة في حجة الوداع .

وقد شيدت في المدينة قصور كثيرة الا أنها درست ولم يبق منها الا آثار قصر سعيد بن العاص الذي شيده في القرن الأول للهجرة وسط العرصة الصغرى من وادي العقيق ، وكان على درجة من الجمال رفيعة حتى لقد فضله الشاعر على دمشق عاصمة الخلافة آنذاك اذ قال :

القصر فالنخل فالجمّاء بينهما
أشهى الى النفس من أبواب جيرون

وتحيط بالمدينة جبال وحرار كثيرة كان لها اتصال وثيق بتاريخ الاسلام ، وأهمها جبل أحد الواقع شمالي المدينة والذي وقعت عنده الغزوة المشهورة . ويبلغ طوله ٦ كيلومترات ، وقد عثر فيه ما يدل على أنه غني بالجواهر النفيسة من حجر أثمد وزبرجد وغيرها . وفيه مسجد صغير يقال أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد صلى فيه يوم « أحد » بعد انقضاء القتال . وهناك أيضا جبل رماة ، ويقع جنوب

---

(١) في كتاب (آثار المدينة المنورة) للأستاذ عبد القدوس الأنصاري بحث تفصيلي عما درس وما بقي من هذه الآثار ويحسن بالقارىء الرجوع اليه .
(٢) أحد أحياء المدينة . (٣) كما يذكر الأستاذ عبد القدوس الأنصاري في كتابه ويخالفه الأستاذ عبد السلام هاشم حافظ اذ يقول في كتابه « المدينة المنورة في التاريخ » أن باني المسجد هو عمر بن عبد العزيز .

ضريح سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه ، وسمي كذلك لأن الرسول وضع عليه خمسين من الرماة يوم أحد . وجبل سلع ، وهو جبل ضخم شامخ ، حجارته سوداء هشة . وتوجد حول المدينة بضع حرار أهمها حرة واقم شرقي المدينة ، وحرة الوبرة غربيها . وأودية وسيول كثيرة أشهرها وادي العقيق ووادي رانوناء ووادي بطحان ووادي مذينيب . وكانت تقوم على وادي العقيق القصور الشامخة والحدائق الغناء وكذلك على بقية الأودية ، الا أن مياهها نضبت وقصورها عفت ، الا العقيق فلا تزال بعض المتنزهات تقوم على جانبيه هنا وهناك .

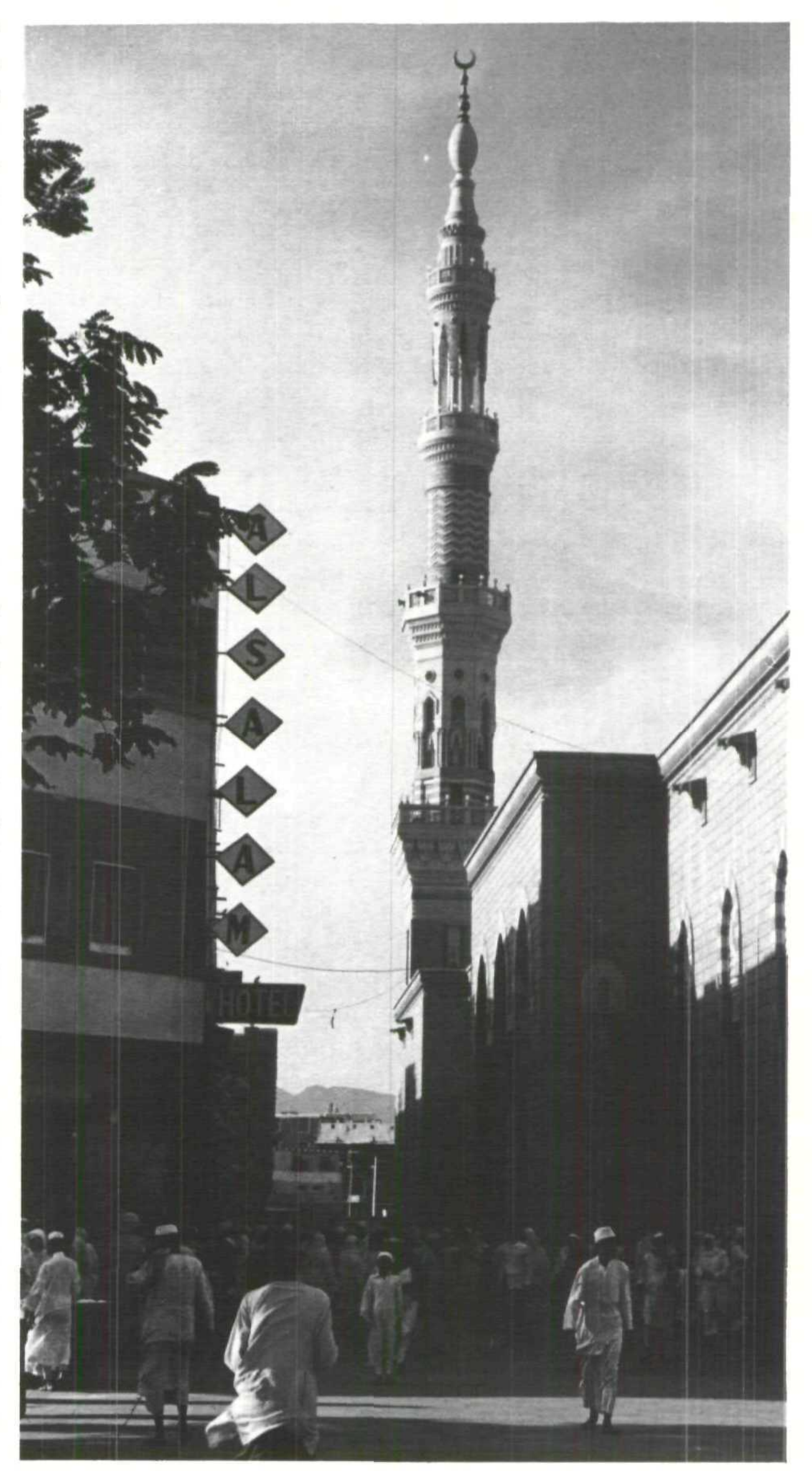
مدينة حديثة متطورة

كانت تنتشر حول المدينة حصون وآطام كثيرة بنيت بحجارة ضخمة هائلة ، ولكن معظمها قد اندثر . وحتى سورها الذي بني عام ٢٦٣ هـ وجدد عام ٩٤٦ هـ قد أزيل لاتساع رقعة المدينة بازدياد الحركة العمرانية فيها ، فقد اتصلت أو كادت تتصل بضواحيها بفضل ما شيد فيها من عمارات وبيوت وفنادق ومدارس جديدة . وزائر المدينة لن يفوته أن يرى القديم والجديد يتعانقان في محلات المدينة وشوارعها ، فيؤخذ بذلك رغم أن فلولا من القديم بقيت حتى الآن ، وهي تتعرض كل يوم لأن تحل محلها العمارات الشامخة والأبنية الحديثة والشوارع الواسعة والميادين الفسيحة التي تزدان أرصفتها بالأشجار ، وجنباتها بالزهور .

وفي المدينة استعدادات سياحية جيدة اذ أن فيها عددا من فنادق الدرجة الأولى والثانية والاستراحات . ومعظم فنادقها مكيفة الهواء ومجهزة بالأثاث الحديث ، مما يجعل اقامة الغريب فيها مريحة وممتعة .

وتتمتع المدينة بنظام ادارة مركزي ممتاز ، فقد جمعت معظم دوائر الحكومة فيها في بناية واحدة (مجمّع) وذلك تسهيلا للمواطنين عندما يتتبعون معاملاتهم . ويحوي المجمع الحالي ثلاث عشرة دائرة على رأسها امارة المنطقة . وهو يقع في مدخل حي قباء ، الا أنه قد بوشر ببناء مجمع أكبر في مدخل العنبرية يتسع لكل الدوائر الحكومية هناك .

وفي الليل ، تلبس المدينة حلة زاهية من الأنوار الكهربائية ، وتملك امتياز تزويد المدينة بالطاقة الكهربائية شركة أهلية. ونظرا لتوفر



بعد كل صلاة ينتشر المصلون من كل جنس في ساحة الحرم الشريف المبلطة حيث عشرات الدكاكين فيبتاعون ما يحتاجون من صنوف البضائع والمعروضات .

منظر شامل لمسجد قباء ، أول مسجد بني على التقــوى .



الكهرباء وانتشارها ، فقد تولد العديد من الصناعات التي ساعدت على تطوير الحياة في المدينــة وتحسينها بشكل ملحوظ .

ومن أهم تلك الصناعات ، صناعة التمور ، وقد كانت هذه الصناعة فيما مضى بدائية ، فكان محصول التمور الكبير ، تبعا لذلك ، لا يستغل استغلالا صحيّا تاما . وفي عــام ١٣٧٢ هـ أسست وزارة الزراعة ، في المدينة محطة نموذجية لأبحاث التمور ومنتجاتها ، أصبح ينتفع بفضلها بمحصول التمور انتفاعا كاملا وعلى مستوى رفيع . وتتألف المحطة من آلات ومعدات تستعمل في فرز أنواع التمور وتعقيمها وغسلها واخراج النوى منها وحشوها بالمكسّرات أو هرسها وخلطها وتعبئتها في عبوات مختلفة الأوزان لعرضها في الأسواق بصورة صحية وجذابة . وظلت المحطة تعمل لحساب وزارة الزراعة مدة أربع سنوات فازداد الطلب على منتجاتها . لذلك أقبل المزارعون وتجار التمور عليها لتصنيع محصولاتهم فيها بأجرة رمزية ، فكان لهم ذلك وأصبحت المحطة تعمل في الموسم ليل نهار بطاقة انتاجية تبلغ (٦٠) كيلوغراما في الدقيقة . وفي انتظار حلول موسم الانتاج التالي تقوم المحطة باجراء تجارب كثيرة لتطوير صناعة التمور وانتاج منتجات أخرى متنــوعة .

وتحقيقا للغرض الذي أنشئت المحطة من أجله أنشيء في المدينة مصنعا تعبئة متشابهان ، هما مصنع السيد محمود أحمد ، ومصنع السيــد عبد المعين عبد الرحمن ، وهما يقومان مع مصنع المحطة النموذجية بتصنيع الانتاج في كل موسم ، ويتعاون الفنيون فيهما مع فنيي المحطة لرفع مستوى الانتاج .

وبالاضافة الى صناعة التمور ، توجد في المدينة صناعات أخرى صغيرة متعددة منها ثلاثة مصانع للثلج ، ومصنع لتعبئة المياه الغازية . وفيها عدد كبير من العطارين الذين يصنعون عطورهم محليا .

ماء وخضراء وخيرات

كانت المدينة فيما مضى تستقي من آبار عادية يجمع فيها ماء الأمطار ، وكان يتبع ذلك ما يتبعه من عناء ومشقة ، الى أن أمر معاوية بن أبي سفيان عامله في المدينة المنورة ، مروان ابن الحكم ، بتطوير سقيا المدينة ، فكان أن حفر مروان العين المشهورة باسم العين الزرقاء (لزرقة في عيني مروان) وأجراها في نفق أرضي (دبل) من قباء الى أن دخلت المدينة . ومنذ ذلك العهد حتى أوائل هذا القرن والمدينة المنورة تشرب من العين الزرقاء . وفي عهد النهضة الحالية بدأت المدينة المنورة وغيرها من الحواضر تتطلع الى مستقبل متطور زاهر . وما أن حان عام ١٣٧٣ هـ حتى كانت المدينة تستقي من خزانين كبيرين يصلهما الماء من ثلاث آبار أرتوازية ، ويتوزع عنهما الى بيوت المشتركين بخط أنابيب قطره اثنتا عشرة بوصة ، فكان ذلك آخر عهد للسقيا من العين السالفة الذكر . ثم حفرت عام ١٣٧٥ هـ أربع آبار أخرى كان من شأنها توفير مياه أكثر لتعميمها على جميع السكان . وتبعا لاتساع رقعة المدينة وزيادة عدد سكانها ازداد الطلب على الماء ، فتكونت عام ١٣٧٨ هـ لجنة درست أحوال المياه فيها وقررت تطويرها وانماءها ومباشرة العمل في ذلك على ثلاث مراحل . وقد تم في المرحلة الأولى انشاء خزان قباء ومد خط أنابيب قطره عشرون بوصة منه الى المدينة وحفر خمس آبار أرتوازية جديدة .

شوارع واسعة وعمارات حديثة أخذت تحل محل القديم حتى غدا فلولا وبقايا .



مجمع الدوائر الرسمية في المدينة المنورة ، تحيط به الزهور والأشجار الخضراء .



احدى القلاع التي كانت تنتشر حول المدينة المنورة ويرجع تاريخ بنائها الى أكثر من قرنين من الزمن .

وينتظر قريبا أن تتم أعمال المرحلتين الثانية والثالثة التي تشمل تجديد شبكة أنابيب المياه الحالية وانشاء شبكة أخرى ، وحفر المزيد من الآبار ، وبناء خزان فوق جبل سلع وآخر في منطقة قباء ، على ارتفاع كبير بحيث يمكن ايصال الماء الى أي بيت دون استعمال مضخات أو غيرها . كما تشمل المرحلتان معالجة بعض المياه المالحة وتحليلها ، وتقوم على صيانة الآبار وشبكة الأنابيب والخزانات ادارة العين الزرقاء .

وتشهد المدينة المنورة هذه الأيام حركة زراعية ناهضة ، اذ تحيط بها عشرات المزارع الأهلية التي تروى بمياه الآبار الارتوازية والتي تنتج آلاف الأطنان من الخضروات والفواكه والحبوب سنويا مما يسد حاجة المنطقة . فبالاضافة الى التمور ، نرى في تلك المزارع مختلف أنواع الخضروات والفواكه وغيرها من المحاصيل التي تزرع بطرق مستحدثة تضمن للمزارعين منتوجا جيدا وبالتالي ايرادا حسنا .

وتنسيقا لأعمال الزراعة وتطويرا لها ، تقوم مندوبية وزارة الزراعة في المدينة المنورة بالاشراف على تلك المزارع وتزويدها بالبذور والفسائل والأسمدة والأدوية والارشاد الزراعي والمعدات من رشاشات ومضخات . ويقوم فنيو المندوبية بزيارات دورية للمزارعين في حقولهم ليكون الارشاد أكثر فعالية وأعظم نفعا .

ولتشجيع المزارعين ، أنشأت المندوبية عام ١٣٧٥ هـ في سلطانة بوادي العقيق ، مزرعة نموذجية أتبعتها عام ١٣٧٨ هـ بمحطة أبحاث لتربية الدواجن . أما المزرعة النموذجية فتضم أقسام المشاتل ، وأشجار الحمضيات والنخيل ، والتجارب الزراعية ، وصناعة المراكن الفخارية ، بينما تضم محطة تربية الدواجن أقسام الطيور والتفريخ الصناعي ، والأبقار ومنتجات الألبان ، والأرانب ، والطب البيطري . وتقدر مساحة أرض المزرعة والمحطة بنحو ٦٠ دونما تستغل كلها استغلالا تاما . وتفتح المزرعة والمحطة أبوابها دائما للمزارعين ممن يأتون للاطلاع أو لشراء الشتائل والبذور بأسعار مخفضة ، أو لشراء الأبقار أو العجول أو الكتاكيت الصغيرة . ويتم كل ذلك باشراف عدد من الخبراء والفنيين .

ويحتوي قسم الدواجن في المحطة على حوالي ٥٠ ديكا روميا ، وعدد كبير من دجــاج « اللجهورن » البياض والفيومي والبلدي المحسّن ، وعلى عدد كبير من بط « بكين » و « روان » وعــلى حوالي مائة مـن أبقار « الفريزين » « والجيرسي » والبلدي المحسّن ، وهي تربى باشراف أخصائي دواجن وطبيب بيطري .

وتجري المحطة تجارب كثيرة على أنواع الثمار والزهور لمعرفة ما يصلح للزراعة في الظروف البيئية هناك ، كما توزع مجانا على المزارعين شتائل أشجار الزينة والفواكه والزهور والخضروات المختلفة . ولا تقتصر أعمال المندوبية على ذلك ، فهي تجند عددا كبيرا من المعدات الزراعية والمرشدين والفنيين لخدمة الزراعة والمزارعين ، كما تشرف بالتعاون مع ادارة العين الزرقاء على حفر الآبار الارتوازية في المزارع ، وتكافح الآفات والأمراض الزراعية بالاضافة الى قيامها بمختلف النشاطات التي تعود على المزارع بالنفع والخير العميم .

حركة ثقافية زاهرة

للمدينة المنورة تاريخ ثقافي حافل . فهي ، ابتداء بحلقات الدرس التي كانت ولا تزال تعقد في أروقة الحرم الشريف على أيدي كبار العلماء والمتفقهين منذ ظهور الاسلام حتى الآن ، وانتهاء بالجامعة الاسلامية ، أضخم مركز تعليمي في الحجاز ، تعتبر بحق منارة علم ومعرفة . وقد عرفت من العلماء والأئمة والأدباء خلقا كثيرا(٤) ، ورفدت تراثنا العربي بفحول أغنوه بمؤلفاتهم القيمة وجهودهم الكريمة المثمرة .

وبانتشار التعليم في أنحاء المملكة العربية السعودية ، بنيت في منطقة المدينة المنورة عشرات المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية للبنين والبنات يتلقى العلم فيها آلاف الطلبة فتخرج منهم كل عام جيلا من الشباب المتعلم الواعي الذي ينخرط في خدمة مجتمعه بكفاءة واخلاص .

وفي المدينة المنورة مركز ادارة تعليم المنطقة ، وهي تشمل المدينة ونواحيها والمدن والقرى التي تتبعها اداريا . ويبلغ عدد مدارس البنين في هذه المنطقة ١٠٣ مدارس تضم ١٩٣٣٢ طالبا يقوم بتدريسهم ٩٢٥ مدرسا . كما أن هنالك عشرات من مدارس البنات ومعاهد المعلمين والمدارس الصناعية والزراعية وغيرها من دور العلم . وبديهي أن لا تعنى هذه المدارس بتدريس تلاميذها المواد الدراسية فحسب بل انها تمارس مختلف أنواع النشاط الثقافي والرياضي والكشفي والمكتبي مما يملأ وقت فراغ الجيل الصاعد ويعود عليه بالنفع . لذلك نجد هذه المدارس مزودة بملاعب ومختبرات ومكتبات لممارسة ضروب النشاط المختلفة ، كما نجد أنها تنظم الرحلات الجماعية الكشفية وغير الكشفية ، والمباريات الرياضية داخل المنطقة وخارجها والمهرجانات الرياضية والثقافية والأدبية ، مما يساعد على بناء شخصية التلميذ ثقافيا واجتماعيا وخلقيا أيضا .

وتبعا لتعميم التعليم الصناعي في مختلف مناطق المملكة العربية السعودية ، افتتحت عام ١٣٧٦ هـ مدرسة صناعية كبيرة في المدينة المنورة يلتحق بها الطلاب فور انهاء المرحلة الثانوية المتوسطة بنجاح . ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات يتخرج الطالب بعدها بدبلوم مهني يخوله ممارسة العمل ضمن حقل اختصاصه ، بينما يبتعث المتفوقون الى الخارج لاتمام دراساتهم المهنية . وتضم أقسام المدرسة الثلاثة عشر (٥) الآن حوالي ٢٥٠ طالبا ويبلغ عدد أعضاء الهيئة الادارية والتدريسية حوالي ٧٠ مدرسا وموظفا ، بينهم ١٤ مهندسا عدا الجامعيين المختصين في مختلف المجالات العلمية والمهنية . وقد أقامت المدرسة هذا العام معرضا حافلا لما أنجزه الطلاب من نماذج في مختلف الأقسام ، كان لها أجمل الوقع في نفوس الزائرين لما كانت عليه من دقة في الصنع وجمال في التصميم .

أما على الصعيد الأهلي ، فلا يوجد في المدينة المنورة الا روضتان نموذجيتان للأطفال تشرف عليهما وزارة المعارف ، كلتاهما تقبلان الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين سنتين ونصف وست سنوات ، فتهيئهم لدخول المدارس الابتدائية . وتقوم على التدريس في الروضتين مدرسات يتبّعن أساليب الترغيب الحديثة في معاملــة الأطفال . وهما تملكان حافلات لنقل الأطفال وملاعب وأراجيح ووسائل ايضاح حديثة . هذا ، وينتظر أن يفتتح في المدينة المنورة فرع لمدارس دار الحنان الأهلية خلال العام القادم بعد أن وافقت وزارة المعارف مبدئيا على ذلــك .

ومن ناحية أخرى ، كانت المدينة المنورة ولا تزال من أعرق المدن من الناحية الأدبية(٦) ، وقد كان ذلك نتيجة لوجود العديد من المكتبات الخاصة والعامة فيها ، ولما حوته تلك المكتبات من عيون الكتب المخطوطة والمطبوعة مما ألفه السلف الصالح في شتى ميادين المعارف والعلوم .

---

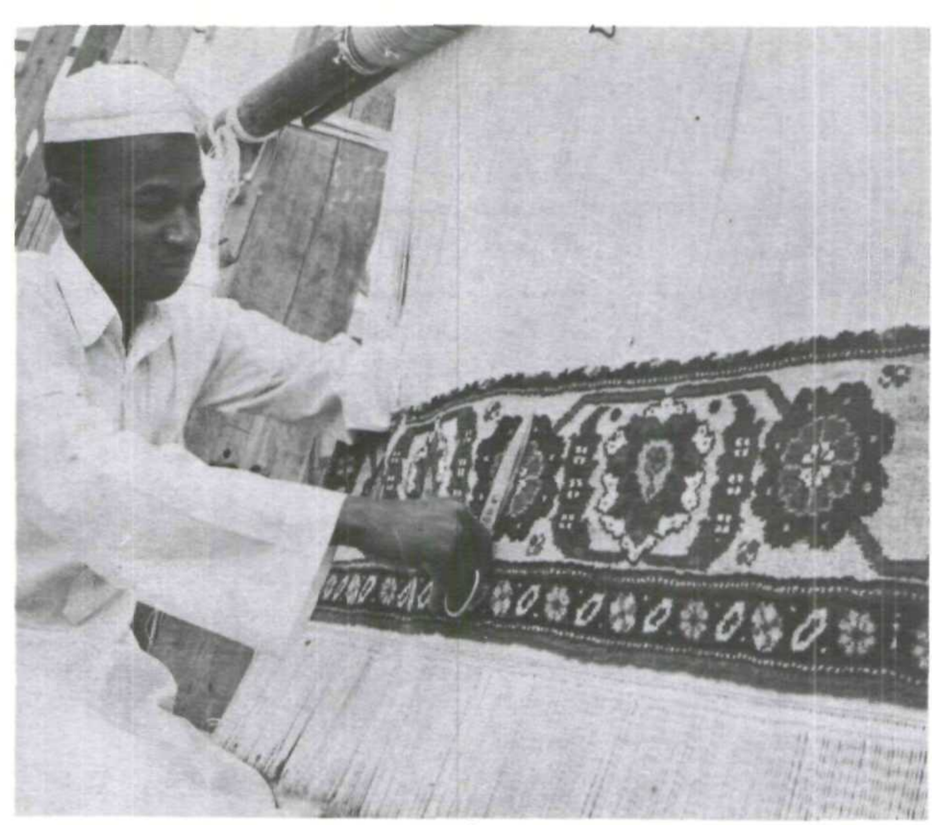
(٤) يجد القارىء فــي كتاب « المدينة المنورة في التاريخ » للأستاذ عبد السلام هاشم حافظ عرضا كاملا لأعلام المدينة والكتب التي ألفت عنها .

(٥) الخراطة ، البرادة ، السيارات ، السباكة ، النماذج ، الحدادة ، الكهرباء ، الزخرفة والنقش ، النجارة ، التنجيد ، النسيج ، والسجاد ، والأعمال الصحية .

(٦) أفردنا مقالا بعنوان (مع أسرة الوادي المبارك) حول ذلك وننصح القارىء بالرجوع اليه .

والجدير بالذكر أن تعاقب الأحداث وصروف الدهر كادت أن تذهب بالكثير مما حوته هذه المكتبات لولا أن سارع المعنيون عام ١٣٨٠ هـ بانشاء بناية كبيرة الى جانب الحرم الشريف جمعوا فيها أشتاتها وأضافوا اليها الكثير حتى غدت بحق من كبريات المكتبات العامة وأغناها. أما المكتبات التي ضمتها المكتبة العامة هذه فهي : مكتبة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وهي تحتوي على (٦٦٠) كتابا بين مصاحف شريفة وكتب فقه وتفسير وغيرها كما تحتوي على (٨٨١) مخطوطة في المواضيع نفسها . ومكتبة الشفاء وهي تحتوي على (١٠٦) مجلدات مطبوعة ومخطوطة في شتى المعارف والعلوم ، ثم مكتبة الساقزلي التي تحتوي على (٤٧٧) مجلدا مطبوعا و (٤٤٩) مخطوطة بين كتاب ومجموعة رسائل ، ومكتبة عمر حمدان ، وهي حديثة العهد الى حد ما ، وتحتوي على (٧٧٥) كتابا مطبوعا و (١٣١) مخطوطة ، والمكتبة الاحسانية وفيها (١٢٤) مخطوطة و (٢٥٠) كتابا مطبوعا ، والمكتبة القازانية وفيها (٣٥٦)





صناعة السجاد تحتاج الى خبرة ومهارة ، ويرى هنا أحد طلاب المدرسة الصناعية الثانوية في المدينة المنورة منهمكا في صنع هذه السجادة الجميلة .

جانب من أحد أقسام المدرسة الصناعية المجهزة بأحدث الآلات ، ويبدو في الصورة بعض التلاميذ أثناء درس عملي .

كتابا مطبوعا و (٢١٦) مخطوطة ، ومكتبة الجبرت وتحتوي على (١٠٥) كتب بين مخطوط ومطبوع ، والمكتبة العرفانية وتحوي (١٣٥٠) مجلدا بين مطبوع ومخطوط ، ثم المكتبة العامة الحديثة التي تضافرت على اغنائها بالكتب وزارة الحج والأوقاف وبعض الهيئات الرسمية والأفراد ، وهي تحتوي الآن على حوالي (٥٠٠٠) مجلد وهي بحق مأثرة من مآثر البلد الكريم . وتضم هذه البناية أيضا قاعة مطالعة فسيحة ومكتبا يقوم موظفوه بحفظ سجلات المكتبات المذكورة . والكتب والمخطوطات المحفوظة في هذه المكتبات لا تعار أبدا خارجها وانما يأتي من يرغب في قراءتها الى قاعة المطالعة فيقرأ أو ينسخ ما شاء منها .

وعلى مقربة من بناية المكتبة العامة ، وفي مبنى عريق أنيق . تقوم مكتبة شيخ الاسلام المرحوم عارف حكمت التي أسسها عام ١٢٧٠ ه، ونمت وازداد عدد كتبها بعد وفاته حتى أصبحت تحوي حوالي (٥٠٠٠) كتاب بين مخطوط ومطبوع في شتى العلوم من فقه وتفسير ولغة وتاريخ وأدب وفلك ورياضة . ومن الجدير بالذكر أن الجامعة العربية قد صورت احدى وستين مخطوطة مما تحويه هذه المكتبة ليتم تحقيقها وطبعها على نفقتها الخاصة . وأقدم مخطوطة في المكتبة هي مخطوطة الأوائل للعسكري وقد تم املاؤها عام ٣٩٥ ه . هذا ، ولا تخلو قاعة المكتبة من طلبة العلم والمعرفة ممن يفدون اليها من شتى المدن والأمصار ، يقضون فيها الساعات يردون منهلها العذب ويغترفون من معينها الذي لا ينضب .

وعلاوة على ذلك توجد في الحرم الشريف مكتبتان تسمى أولاهما مكتبة الحرم الشريف ، وهي تحتل الآن الركن الشمالي الغربي عند باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتضم حوالي (٦٠٠٠) كتاب بين مطبوع ومخطوط ، وتعرف الأخرى باسم المكتبة المحمودية نسبة للسلطان محمود العثماني وهي تحوي حوالي (٦٠٠٠) كتاب أيضا وفيها مخطوطات يقال ان السلطان كتبها بخط يده .

وفي المدينة المنورة بضع مكتبات حديثة تحوي الكثير مما ترمي به المطابع الى الأسواق من نفائس الكتب مما يجعل النتاج الفكري في العالمين العربي والاسلامي في متناول الراغبين من أبناء المدينة أو الوافدين اليها من شتى ديار العروبة والاسلام .

الخدمات الصحية

تشرف مندوبية وزارة الصحة في المدينة المنورة بادارتها النشطة على جميع شؤون الصحة ومرافقها من مستشفيات ومستوصفات وعيادات وعلى سير العمل فيها بانتظام واخلاص . وفي المدينة حاليا ثلاثة مستشفيات عامة هي مستشفى الملك ومستشفى الولادة وأمراض النساء ومستشفى الحميات (وهو في طور الانشاء) ، وفيها مستوصفات منتشرة في مختلف أحيائها السكنية لجعل الدواء في متناول الجميع دون كلفة أو عناء .

ويعتبر مستشفى الملك من أهم المرافق الصحية في المدينة ، وهو يقع في حي باب الشامي ، ومبناه قديم ، الا أن اضافات مستحدثة قد أضيفت اليه . ويبلغ عدد أطباء هذا المستشفى (٢٦) طبيبا وطبيبة بين اخصائي وطبيب عام . ويتناوب العمل فيه أربعون ممرضا وممرضة ، وفيه قسم للأشعة يعمل فيه طبيب مختص وثلاثة فنيين . كما يشتمل المستشفى على مختبر تجرى فيه جميع الفحوص المخبرية ، ويعمل فيه طبيب مختص وستة مساعدين ، وقسم للجراحة يديره عدد من الجراحين ، وقسم مستودعات الأدوية الذي يحوي كميات من أصناف الأدوية والعقاقير الطبية مما يوزع مجانا على مئات المراجعين يوميا ، وقسم لعلاج الأنف والأذن والحنجرة والعيون ، وبنك الدم . ويتسع المستشفى لمائتين وخمسة وعشرين سريرا وفيه تسع عيادات تستقبل المرضى طوال ساعات الليل والنهار .

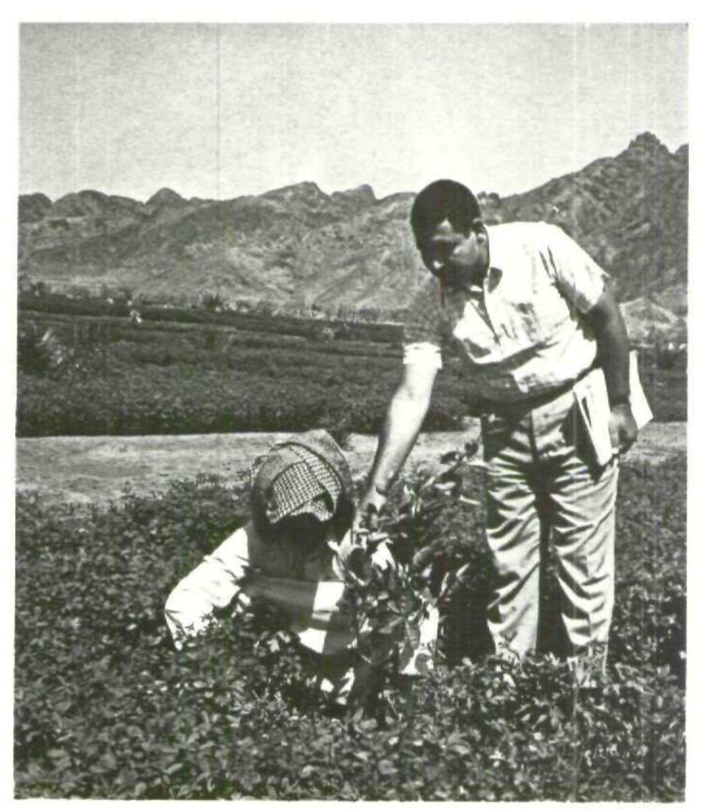
أما مستشفى الولادة وأمراض النساء فقد أسس عام ١٣٧٢ ه ، وهو يضم ٤٨ سريرا وتضاف اليه حاليا أجنحة اخرى لجعله يتسع لمائة وخمسين سريرا . وفيه جراح مختص بأمراض النساء وست قابلات وممرضات ، وهو يقوم برعاية الأمومة والطفولة في المدينة . ومن الجدير بالذكر أن الحالات المستعصية التي تستدعي جراحة معقدة تحول منه الى مستشفى الملك لكونه أكثر تجهيزا واستعدادا لاستقبال مثل هذه الحالات ومعالجتها .

وعلى بعد ستة كيلومترات خارج المدينة ،



الآلات الميكانيكية من جرارات ومحاريث وغيرها هي عماد الزراعة الحديثة ، ويبدو في الصورة جانب من مزرعة حديثة قرب المدينة المنورة كما يبدو في أقصاها جانب من جبل أحد .

في محطة تربية الدواجن التابعة لمديرية الزراعة في المدينة المنورة عشرات الأبقار الأجنبية والمحسنة ، ويرى هنا جانب منها في احدى الحظائر المظللة .



خبير زراعي من موظفي المديرية يشرح لأحد المزارعين طريقة مكافحة الآفات التي تتعرض لها بعض الأشجار في مزرعته .



عملية معقدة يجريها جراحو مستشفى الملك في المدينة المنورة .

وعند « آبار علي » حيث الهواء النقي والهدوء التام ، بني مستشفى الحميات وهو يتسع لخمسين سريراً ، ولم يباشر بعد باستقبال المرضى ، ومن المؤمل أن يتحقق ذلك في وقت قريب ان شاء الله .

وعلاوة على المستشفيات والمستوصفات ، توجد في المدينة المنورة فرق متنقلة للوقاية والتطعيم ، وفرق أخرى للكشف الصحي على الفنادق والمطاعم والمقاهي والعاملين فيها ، كما تزاول المندوبية أحيانا الطب الشرعي عندما يطلب اليها ذلك ، والاشراف الصحي على الحجاج الوافدين الى المدينة وهو من أضخم تبعاتها السنوية وأوسعها نطاقا .

وبالاجمال نستطيع القول أن منطقة المدينة المنورة تتمتع بخدمات ومرافق صحية ممتازة تسهر ادارتها على المحافظة على صحة المواطنين وتبذل جهودا دائبة من أجل ذلك .

الخدمات الاجتماعية

في المدينة المنورة مركزان للعمل الاجتماعي ودار تربية اجتماعية (ميتم) تشرف على سير أعمالها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية . أما المركزان فهما مركز التنمية الاجتماعية ومركز الخدمة الاجتماعية . وعملهما يقوم على اقناع الأفراد بحاجة مجتمعهم الى الاصلاح ، واشراكهم في التخطيط والعمل وتجميع خدمات مختلف الدوائر وتنسيقها لتتضافر مع الجهود الأهلية في تنفيذ الخطط المرسومة للنهوض بالمجتمع .



طبيب أسنان يفحص احد المرضى في العيادة لتحديد العلاج اللازم لـه . تصوير : عبد اللطيف يوسف

ويقوم مركز التنمية بعمله بين فئات الفلاحين بشكل خاص ، بينما يزاول مركز الخدمة نشاطه في أحياء المناخة والمنشية والطيار السكنية لافتقارها لمثل خدماته . وتنحصر نشاطات مركز التنمية في أربع وحدات هي : الوحدة الاجتماعية ، والوحدة الثقافية ، والوحدة الزراعية ، والوحدة الصحية . وتقوم هذه الوحدات باسداء خدماتها الجليلة الى أفراد المجتمع باشراف الاخصائيين في هذه المجالات . ففي الناحية الاجتماعية تقوم الوحدة المعنية باصدار النشرات والقاء المحاضرات لبث روح التعاون ونشر الوعي الاجتماعي بين الأفراد ، كما حققت انشاء جمعيتين تعاونيتين هما جمعية التموين المنزلي التعاونية لموظفي الدولة ، والجمعية التعاونية الزراعية المتعددة الأغراض . وقد أقبل الجمهور على المساهمة في زيادة رأسمال كل من هاتين الجمعيتين حتى قويتا وازدهرتا بفضل انتشار الوعي التعاوني .

ومن ناحية أخرى تحتل الوحدة الزراعية في المركز جناحا خاصا تحتفظ في غرفه بشتى المعدّات والبذور ، وبنشرات وكتب زراعية لاطلاع المزارعين عليها ، وبمعرض زراعي دائم يلفت النظر . والوحدة تعنى بتثقيف المزارعين وتنويرهم حول الأساليب الزراعية الحديثة . وتأخذ الوحدة الثقافية على عاتقها مكافحة الأمية بين الذكور والاناث ، وتنظيم الخدمات المكتبية والندوات والمحاضرت واعداد وسائل الايضاح والنشرات والملصقات وتوزيعها على أفراد الجمهور . أما خدمات الوحدة الصحية فتشمل العلاج بواسطة طبيب له عيادة في جناح الوحدة ، والارشاد بواسطة مرشدين صحيين يعملون على انماء التوعية الصحية في نفوس الأفراد والأهلين .

هذا ، وقد أقام المركز معرضا دائما للأشغال النسوية ، استحق اعجاب كل من شاهد نماذجه . ومعروضاته الجميلة كانت كلها من صنع العضوات المنتفعات بخدمات المركز من تعليم خياطة ونسج وتطريز ومواضيع أخرى تدرسها الاخصائيات الاجتماعيات اللواتي يعملن في المركز .

وتكاد تكون نشاطات مركز الخدمة الاجتماعية مشابهة لنشاطات مركز التنمية الا أنه يشارك في خدمة السيدات مشاركة فعالة عن طريق « دار الفتاة » التي تقوم بأعمال محو الأمية وتعليم التدبير المنزلي وانشاء الجمعيات التعاونية النسائية ورياض الأطفال ، كما أن المركز يحوي قاعة لعرض الأفلام التثقيفية والصحية والزراعية بين حين وآخر ليتسنى للمنتفعين بخدمات المركز مشاهدتها والمشاركة في التعليق عليها وتحديد طرق الاستفادة مما يرد فيها .

أما دار التربية الاجتماعية فقد أسسها عام ١٣٥٢ هـ المحسن المرحوم عبد الغني دادا لتكون مأوى لأيتام المدينة ، الا أنها آلت عام ١٣٨٢ هـ الى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية .

وهي حاليا تقدم المأوى والطعام واللباس لمائة وواحد وعشرين تلميذا تنقلهم من الدار الى مدارسهم حافلات خاصة . كما تضم مكتبة وغرفة ألعاب وتشرف على ادارتها هيئة من المربين الأكفاء الذين يعملون دائبين على اشعار الأيتام بحنان الأبوة والانتماء الى أسرة المدرسة . وقد رعت الدار خلال عمرها الحافل عددا كبيرا من الأيتام الذين أهلّتهم فأخرجتهم الى المجتمع شبابا من خيرة أفراده العاملين في مختلف الوظائف والحقول .

ومن ألوان الحياة الاجتماعية التي تحفل بها المدينة المنورة ، الأندية الرياضية والترفيهية التي يلتقي فيها الموظفون والشباب لقضاء ساعات فراغهم في ممارسة الألعاب الرياضية المختلفة . وأهم هذه الأندية نادي أحد الرياضي وهو أقدمها ، ونادي العقيق ، ونادي النهضة ، ونادي المدينة الرياضي . وأهم الألعاب التي يمارسها أعضاء هذه الأندية كرة القدم ، وكرة السلة والكرة الطائرة ، كما تعقد في الأندية ندوات ثقافية وحفلات سمر ومباريات ودية ودورية مما يوفر للشبيبة جوا اجتماعيا وترفيهيا وثقافيا ملائما .

وبعد ، فالمدينة المنورة تمر هذه الأيام بمرحلة عمران وتقدم زاهرة نأمل أن تؤتي أكلها في الأعوام القليلة القادمة ، فنرى المدينة تزدان بأبهى الحلل وتظهر بأجمل المظاهر مما يليق بها كمنارة هدي واشراق ، ومعرض لتاريخ أمجد حضارة انتشرت منها الى ربوع العالم ، فملأتها عدلا وسلاما .

حسن

ذكريات رمضانية

بقلم الاستاذ عبد العزيز الرفاعي

رمضان بين الشهور ، شهر ذو شخصية مميزة ، تماما كما يبرز رجل بين الرجال فتكون له شخصية تجعله مميزا بين زملائه بحيث يكون مرموقا مهابا مسموع الكلمة .

رمضان لا يأتي نهاره كالنهارات . ولا ليله كالليالي . وان كانت شمسه هي الشمس ، وليله هو الليل ، وقمره هو القمر .

لقد جعل رمضان من النهار شيئا مختلفا عنه في الشهور الأخرى . وكذلك جعل من الليل ، ومن القمر ، ومن الناس . ومن كل شيء أحاط بـــه .

انه يوقظ في الناس معاني غافية أو تكاد ، ويبعث في قلوبهم روحا من أرواح القداسة ، تغير مـــن نفوسهم ، ومن عاداتهم ، ومـــن مواعيدهم ، ومن معاملاتهم ، ومن علاقاتهم ، لتجعل من كل ذلك شيئا مختلفا .

انه تغيير فذ لروتين الحياة اليومية ، فقد اعتاد الناس أن يملوا الأمكنة فيغيروا منها ، ليحصلوا على نوع من التجديد يروّح عن نفوسهم ويدفع عنها السأم . وكذلك الحال بالنسبة لرمضان في الأزمنة ، فهو تجديد زماني يدفع عن النفوس سأم الرتابة اليومية ، عدا الجانب الروحي ، الذي هو الأصل .

اما وأن رمضان شهر ذو شخصية ، فقد كان وما زال وسيظل ان شاء الله محل الحفاوة والترحيب . يرتبط ذكره دائما في حياة الناس بمجموعة كبيرة من الذكريات ، تنشأ معهم وهم صغار ، وتنمو بنموهم ، حتى يدخلوا في عداد الصائمين بحق وحقيق . أقول بحق وحقيق ليخرج أولئك الصغار الذين تعودنا أن نطلق عليهم « الصائمون من وراء الزير » .

وهذه التسمية قد لا تكون واضحة الآن في بعض المجتمعات التي اختفى « الزير » من حياتها ، فلم يعد معروفا ولا مألوفا . والزير هو الاناء الفخاري الذي اعتاد السقاء أن يودع فيه الماء المستعمل للشرب ولغيره من الأغراض .

هذا الزير ، كان يختفي خلفه أي طفل من الصغار ، المتظاهرين بالصوم ، ليتجرع في خفية قليلا من الماء يبل به فؤاده الصائم . وقد يستعمل الطريقة نفسها للحصول على شيء من الطعام ، ثم يفتخر قبل ذلك وبعده بأنه من الصائمين .. أعني الصائمين عن الصوم .

ذكريات الصيام اذن تبدأ من هذا العهد .. وهي تنداح في عهد الصبا ، حينما يبذل الصبيان جهودا حقيقية للصوم ، أو لمحاولاته الأولى . ثم تكبر في ليالي رمضان في الشباب الباكر .

ففي رمضان اعتاد الناس السهر ، واعتادوا بعد انقضاء صلاة التراويح أن يلتمسوا وسائل للتسلية يقضون فيها سهراتهم . منهم من ينقطع الى العلم وحلقاته . ومنهم من ينطلق الى الأسواق .. وللأسواق في رمضان بهجة ورونق . فالحوانيت تستعد للعيد ، وتتزين ، وتغص بأطايب الطعام ، وأطايب اللباس ، وأطايب الحلوى ، خاصة في الليالي الأخيرة من الشهر المبارك ، على مشارف العيد . ومنهم من يقضي السهرة مع شلته ، لاهيا لاعبا ، أو منتديا مستفيدا ..

وقد دخلت ليالي رمضان التاريخ العلمي والأدبي ، فدونت بها محاضرات في العلوم الدينية والأدبية . وتحتفظ المكتبة العربية بعديد من الكتب عن رمضان ، ووظائفه ، وعباراته ، وأدبياته . عني بذلك القدامى ، وعني به المحدثون ، حتى يصح أن نقول أن هناك مكتبة رمضانية ...

وبعد ذكريات الطفولة والصبا ، والشباب الباكر ، تتخذ الذكريات الجادة طريقها الى حيوات الناس . واذا كانت هذه الذكريات تمثل قاسما مشتركا بين الناس جميعا . فانها تختلف في كل فرد عنه في غيره باختلاف ظروفه الخاصة ، وظروف البيئة التي ينشأ فيها ، والتقاليد التي يألفها . كما تحتفظ كل مدينة بحياة رمضانية خاصة قد لا تتوفر في الأخرى .

فرمضان في مكة المكرمة مثلا غيره في المدينة المنورة ، وان تشابهت الحياة كثيرا في الحرمين ، وهو في غيرهما من المدن مختلف عنه فيهما .

أما ذكرياتي الخاصة عن رمضان ، فانها تتقارب كثيرا مع ذكريات لداتي ممن نشأوا في مكة المكرمة . صمت كما صاموا من وراء الزير . ثم أخذت أتدرج في الصيام أمام الزير . ثم ألفت الصوم وتعودته في سن مبكرة ، فنعمت بأطايب طعام الصائمين في الفطور .

وكانت في المرحلة الابتدائية أوزع ليالي السهرة على مرحلتين ، المرحلة الأولى للحرم والمذاكرة وصلاة التراويح . وكان امام الحرم على أيامنا فضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح رحمه الله ، وكان ذا صوت رخيم ، وتلاوة جميلة ، فكانت صلاة التراويح خلفه متعة روحية ، لا تعد لها متعة . أما المرحلة الثانية فللعب في « الحواري » والمشاركة في « الزومال » .

وكان لنا من اللعب فنون ، من « الاستغماية » الى « اللانديه » الى « يابونا جانا الذيب » الى « الكبت » الى « الضاع » وذلك في ليالي القمر ، أو تحت « اتريك » البلدية .

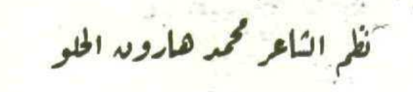
ولكل من تلك الألعاب شرح يطول . فالزومال نوع من الفلكلور الشعبي الجميل ، وهو عبارة عن أغاني جماعية . يؤديها الأولاد الذين ينطلقون خلف منشد – جميل الصوت في العادة ينشد كلمات « الزومال » فيرددونها من بعده .

وكانت لنا أناشيد شعبية كثيرة من أمثال « سرى الليل يا سنبلان » وهذا النشيد متأثر بالبيئة المكية التي تختلط بكثير من الجاليات الأجنبية . و « ايش جاب الكرنتينا في بلدنا ؟ في بلدنا كرنتينا ؟! » و « جينا من الطائف .. والطايف رخا » و « يا سارية خبريني » .

وتستهدف بعض هذه الأناشيد نقدا اجتماعيا ، أو غزلا ، بينما قد تخلو بعضها من أي هدف

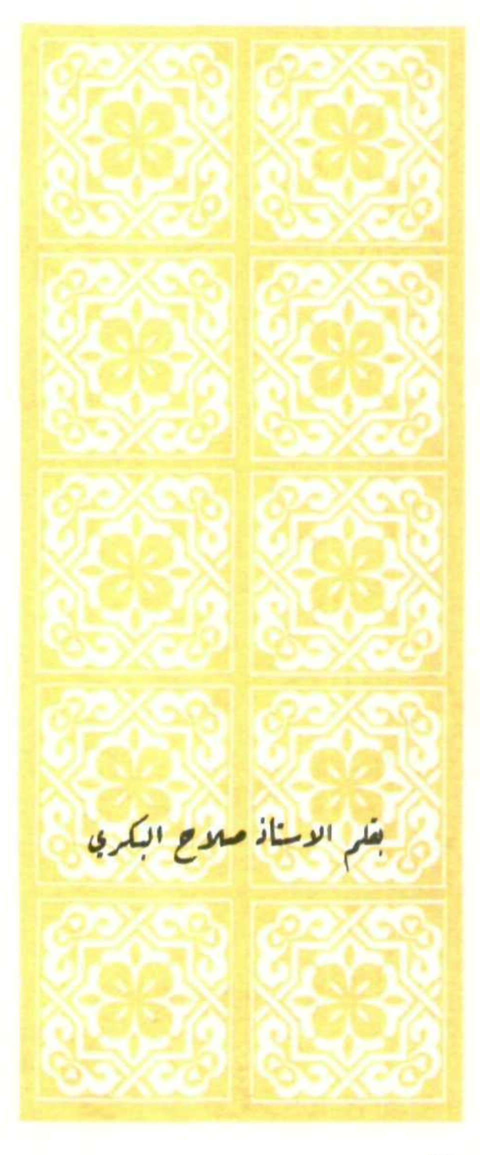
البقية على الصفحة (٤٩)

وتظل حتى مطلع الفجر



ما كان أعظم ليلة القدر — في الدهر ، وهي يتيمة الدهر
الله جلاّها بآيته .. — بالنّور ، بالايمان ، بالذّكر
واختصّنا منها برحمته — بالخير ، والنّفحات ، والبر
هي آية في الدهر ساطعة — بالبُشريات ، عليّة القدر
تمتدّ في الأيام بهجتها — وكأنها موصولة العمر
تحيا القلوب بها ، فتودعها — بثّ الهوى ، ولواعج الصّدر
ومساؤها ، كصباحها ألقٌ — تهفو اليه عرائس الفكر
وتُطلّ في الدنيا بروعتها — بذوائبٍ قدسيّةٍ خضر
شرُفَتْ بتشريف الاله لها — فلها جلالةُ موكبِ البدر
أنَسمْتَ ريّاها ، وقد عبِقَتْ — بين الزّمان ، وروحها يسري ؟
والنّور رفّاف تكادُ تُرى — فيه الضّفاف سنيّة البشر
وعلى المآذن ، والقباب سنا — متألق ينهلّ كالقطر
وترى القلوب لربّها لهجَتْ — بالحمد ، والتّسبيح ، والشكر
هي ليلة موصولة البرّ — هي ليلة بسّامة الثّغر
وترفّ بالحسنى بشائرها — وتظلّ حتى مطلع الفجر

يوم بدر



لم تكن غزوة بدر في صبيحة يوم الجمعة في السابع عشر من شهر رمضان للسنة الثانية من الهجرة . ولجلال هذه الغزوة وسمو شأنها سماها القرآن الكريم (يوم الفرقان) و (يوم التقى الجمعان) ، وسماها المؤرخون بأسماء مختلفة تدل على خطرها وعظم شأنها فسموها (غزوة بدر الكبرى) و (غزوة بدر العظمى) و (يوم وقعة بدر) وبعضهم سماها (يوم البطشة الكبرى) اشارة الى قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون .

ويوم بدر كان بحق يوم الفرقان ، فرق الله فيه بين الحق والباطل .. فرق فيه بالحق بين القلة المسلمة المستضعفة في الأرض ، وبين الكثرة المشركة الباغية على العباد. فإذا الدنيا ترى ذلك المستضعف الذليل وقد أصبح عزيزا منتصرا كريما (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) .

وكان يوم بدر يوم الفرقان بين الغني المستكثر بماله وجاهه وشوكته وسلطانه وبين الفقير المؤمن بربه ، والمدرع بيقينه وعقيدته وايمانه . وقد خرجت قريش بخيلها وشبابها ونسائها وسلاحها وزهوها وكبريائها في ألف ، كل منهم شاكي السلاح كامل العدة . وخرج محمد صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وهم بحاجة الى السلاح والعتاد . وكان يوم بدر يوم الفرقان اذ استبان فيه الحد الفاصل بين الكذبة والأدعياء المعتصمين بالباطل المجتمعين على الاثم وبين المؤمنين بربهم الواثقين بنصر خالقهم .

وفي ليلة بدر يشير محمد عليه السلام الى الأرض قائلا : « هذا مصرع فلان من المشركين ان شاء الله تعالى غدا » ، ثم يشير الى جزء ثان من الأرض قائلا : « وهذا مصرع فلان ان شاء الله تعالى غدا » ، ثم يشير الى جزء آخر من الأرض ويقول : « وهذا مصرع فلان ان شاء الله تعالى غدا . » هو الذي بعثه بالحق شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، فما أخطأوا تلك الحدود ، ولا جاوزوا تلك المواضع وصاروا يصرعون عليها واحدا بعد واحد . وألقوا في حفرهم وأقبل النبي عليهم يناديهم بأسمائهم ويقول لهم : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فاني وجدت ما وعدني ربي حقا . »

كيف وقعت غزوة بدر ؟

اشتد أذى المشركين على الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه فهاجر من مكة الى المدينة بعد أن هاجر أكثر المسلمين . وفي المدينة بدأ الرسول والمسلمون يبنون دولتهم بعد أن تنفسوا الصعداء من الأهوال التي لحقت بهم على أيدي المشركين . وعلم الرسول أن المشركين في مكة استبدوا بممتلكات المسلمين وانهم ما زالوا يتربصون به وبأصحابه الدوائر لذلك فكر محمد صلى الله عليه وسلم في التعرض لقوافل المشركين المترددة بين مكة والشام . فأرسل السرايا والطلائع ليشعر قريشا بأن المسلمين لم يذلوا بسبب الهجرة ، وانهم على الرغم من قلة عددهم وعدتهم أقوياء أعزاء .

وأرسل النبي عمه حمزة بن عبد المطلب على رأس ثلاثين فارسا من المهاجرين الى (العيص) ليعترض قافلة في طريقها الى الشام بقيادة أبي جهل وكان ذلك في شهر رمضان . وفي شوال بعث النبي عبيدة بن الحارث ومعه ثمانون رجلا الى مكان يسمى (ثنية المرة) للاستطلاع . وخرج النبي بنفسه في طليعة السنة الثانية الى قرية (ودان) وعقد مصالحة مع بني ضمرة . وفي جمادى الأولى بلغ النبي أن قافلة مكونة من ألف بعير لقريش ذاهبة الى الشام وفيها ما قيمته خمسون ألف دينار ، فخرج ومعه نحو المئتين الى (العشيرة) من (بطن ينبع) ولكن القافلة مرت قبل وصوله . وقد حالف الرسول في هذه السرية (بني مدلج) . وفي رجب أرسل النبي عبد الله بن جحش الأسدي مع فريق من المهاجرين وأعطاه كتابا مختوما وأمره ألا يفضه الا بعد يومين من مسيره . وفتح عبد الله الخطاب بعد يومين فإذا به « اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصّد لنا قريش وتعلم لنا من أخبارها » .

اشتبك عبد الله وزملاؤه مع قافلة من قريش وانتصر وغنم بعض الغنائم ، فغضب الرسول من فعلهم هذا وقال لهم « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » . وأرسل النبي طلحة بن عبد الله ، وسعيد ابن زيد ليستطلعا أخبار القافلة التي يقودها أبو سفيان من الشام الى مكة . وعندما نزل الصحابيان في (الحوراء) علما باقتراب القافلة فسارعا باخبار الرسول عليه الصلاة والسلام .

وخرج الرسول في الثامن من رمضان ومعه ثلاثمائة وخمسة ، معهم سبعون بعيرا . ولما بلغوا المكان الذي كان مقدرا أن تمر منه القافلة علموا أن أبا سفيان قد نجا بها وأنه سلك طريقا آخر غير مألوف . وقد أرسل أبو سفيان ضمضم ابن عمرو الغفاري الى مكة ليخبر أهلها بأن محمدا وقومه يتربصون بالقافلة للاستيلاء عليها . ووصل ضمضم الى مكة ووقف فوق بعيره بعد أن شق قميصه ، وجعل يصيح بأعلى صوته : (يا معشر قريش يا أهل مكة اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها .. الغوث الغوث) .

وثارت نفوس قريش وأجمعوا أمرهم على الخروج ، ما عدا أبي لهب فقد أناب عنه العاصي بن هشام في مقابل أربعة آلاف درهم كان هذا مدينا بها لأبي لهب . وأراد أمية بن خلف أن يقعد ولكنه خاف من الفضيحة ، فقرر الخروج لمقاتلة محمد وأصحابه بعد أن جاءه عقبة بن أبي معيط ووضع مجمرة فيها بخور بين يديه ، وقال له مستهزئا يا أبا علي استجمر فانما أنت من النساء . ثارت نفس أمية وخاف من العار وقال لمن حوله ابتاعوا لي أفضل بعير في الوادي ، ثم تجهز وخرج مع الناس .

وخرجت جموع قريش من مكة واتجهت نحو بدر ، وبلغ النبي خبر خروجها لغزو المسلمين وابادتهم . فجمع أصحابه وقال مستشيرا ومثيرا : « ان قريشا قد خرجت من مكة للتنكيل بنا فما تقولون ؟ العير أحب اليكم من النفير » . فقال المقداد بن عمر : « يا رسول الله امض لما أمرك الله ، نحن معك . والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون . فوالذي بعثك بالحق نبيا لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . » فقال له رسول الله « خيرا » ودعا له به .

وعاد الرسول يقول لأصحابه مرة بعد أخرى : « أشيروا عليّ أيها الناس . »

وفهم سعد بن معاذ الأنصاري غرض الرسول من تكرار سؤاله فقال له : « والله لكأنك تريدنا يا رسول الله » فقال النبي : « أجل » . فقال سعد : « يا رسول الله فقد آمنا بك ، وصدقناك ، وشهدنا آن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، ولعلك يا رسول الله تخشى أن تكون الأنصار ترى عليها ألا ينصروك الا في ديارهم ، واني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم ، فاطعن حيث شئت،وصل حبل من شئت ، واقطع حبل من شئت ، وسالم من شئت ، وعاد من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وما أخذت كان أحب الينا أخذه مما تركت ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن نلقى بنا عدونا

غدا ، انالصبر في الحرب صدق في اللقاء. لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله . » فسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « سيروا وابشروا فإن الله تعالى قد وعدني احدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر الى مصارع القـــوم » .

وأرسل النبي فريقـــا من أصحابـــه للاستطلاع فوجـــدوا غلامين في واد فأحضروهما الى رسول الله عليه الصلاة والسلام فأخذ يسألهما عن عدد الخارجين من قريش قال : « كم القوم ؟ » قالا : « كثير . » قال : « ما عدتهم ؟ » قالا : « لا ندري . » قال : « كم ينحرون كل يوم ؟ » قالا : « يوما تسعا ويوما عشرا . » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القوم فيما بين التسعمائة والألف ثم قال لهم : « فمن فيهم مـــن أشراف قريش ؟ » فذكرا له الكثيرين من أشراف مكة وساداتها . فأقبل الرسول على الناس فقال : « هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها » .

وسارت قريش الى موطن القتال ، فارسلوا عمير بن وهب الجمحي يستطلع لهم الأخبار ، وعاد عمير يقول للمشركين عن المسلمين : « انهم ثلاثمائة أو يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا لا كمين لهم ولا مورد ، ولكنهم قوم ليس لهم متعة الا سيوفهم فلا يموت الرجل منهم قبل أن يقتل رجلا مثله . »

ونزل الرسول بأصحابه عند أول ماء قابلهم قرب بئر بدر ، فجاء الحباب بن المنذر الى النبي وقال له : « يا رسول الله أرأيت هذا المنزل الذي نزلته ، أهو منزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ » فقال عليه الصلاة والسلام : « بل هو الرأي والحرب والمكيدة . » فقال الحباب : « يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزل ، ثم نغور ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضا فنملأه بالماء ، ثم نقاتل القوم ونشرب وهم لا يشربون . »

كيف انتهت الغزوة ؟

وتراءى الجمعان واندفع الأسود بن عبد الأسد المخزومي من بين صفوف المشركين واتجه نحو المسلمين ليبلـــغ الحوض الذي فيه الماء ، ولاحظه حمزة ابن عبد المطلب وهو يتقدم نحو الحوض فطعنه طعنة أصابت ساقه وعاجله بضربة أخرى قضت عليه . وهاج المشركون وخرج من صفوفهم عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة بن ربيعة وطلبوا المبارزة من المسلمين . فخرج اليهم ثلاثة من الأنصار فرفض المشركون أن يقاتلوهم وقالوا : نريد أكفاءنا من أبناء عمومتنا (أي من أهل مكة) فنادى النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعبيدة بـــن الحارث وأمرهم بمبارزة المشركين ، فقضى الثلاثة المسلمون على الثلاثة المشركين دون أن يصاب المسلمون بسوء ، عدا أن عبيدة أصيب بجرح في ساقه . أما الرسول عليه السلام فقد انخرط في الدعاء حتى سقط رداؤه من فوق كتفه دون أن يشعر . فقال له أبو بكر الصديق : « يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك . » ولكن الرسول استمر يدعو الله أن يهلك المشركين وينصر المسلمين ، وقال محرضا للقتال وواعدا بحسن الثواب : « والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر ، الا أدخله الله الجنة » . فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة ، وفي يده تمرات يأكلهن : « بخ بخ ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلني هؤلاء . » ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتـــل .

وهكذا شهد رمضان معركة دموية حامية الوطيس بين الخير والشر ، بين الحق والباطل ، بين الهدى والضلال . وجاء النصر المبين عاجلا سريعا . لقد قتل من المشركين كثيرون ، واستشهد من المسلمين قليلون ، وغنم المسلمون غنائم كثيرة . وجاء حكم الله في الغنائم بقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامـــى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير . اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيّ عن بينة ، وان الله لسميع عليم . اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور .

واستشار النبي المسلمين في أمر الأسرى ، فأشار عمر بن الخطاب بقتلهم لأنهم رؤوس الشر وأئمة الضلال ، وأشار أبو بكر الصديق بفدائهم ، وأيده الرسول في ذلك ، فأعلن أن كل أسير يستطيع أن يفدي نفسه بالمال ، أو بتعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة . وأطلق الرسول سراح بعض الأسرى العاجزين . ولكن القرآن الكريم جاء مؤيدا لرأي عمر وبخلاف ما حدث فقال (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض . أتريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) .

لقد كانت غزوة بدر فتحا مبينا ونصرا عظيما في تاريخ الاسلام ، كانت بداية انطلاق في نشر الدعوة وبنـــاء الدولـــة الاسلامية ، وكانت تزكية للمجاهدين فيها .

خصائص الأدب النسوي

بقلم السيدة جميلة العلايلي

هل للأدب النسوي تأثير مباشر في محيط العالم العربي ، على الأقل ؟

مرّ بخاطري هذا السؤال وأنا أتأهب لكتابة هذا البحث ، وبدل أن أقنع نفسي بجواب ما تساءلت مرة أخرى هل للأدب النسوي خاصية يلتزمها ؟ اذ المفروض أنه ينبع من أعماق المرأة ويلتزم بسماحة نفسها وعمق مشاعرها وقوّة تصويرها ونزاهة خواطرها وصدق تقديرها وسلامة تفاعلها مع المجتمع الذي تعيش فيه ، وبعدها عن التصنع والتقليد ، وافتتانها برسالتها التي خلقت من أجلها ، فتكون لبيتها ولوطنها وللعالم كله وحيا والهاما على نحو تباهي به بيئتها ، وتكون كذلك قادرة على الابتكار ، ووسيلتها الى ذلك عذوبة بيانها وسحر أسلوبها وموسيقى معانيها وصراحة آرائها ، فتنفذ الى كل قلب متغلغلة في أعماق الفرد وأعماق المجتمع لتكشف ما وراء المجهول كي تصلح وتداوي ، فتكون بذلك كمبضع الطبيب فيه ألم ولكن فيه شفاء .

فخاصة أدبها اذن هي أن ينبع من أعماقها رجاء أن يعكس انطباعات الأنثى بأخلاقها العالية وروحها اللماحة ، معتزة بخواطرها الصادقة الصريحة ، غير آبهة بما يثيره التطور من قلق وجداني أو اضطراب فكري .

وكل ما تكتبه المرأة مكرّرة لما سبق أن نشره القدامى أو يكتبه المحدثون — كل بأسلوبه — حتى ولو تميّز ببحث جديد ، لا يمكن أن ينطبع بطابع أدبها النسوي الا اذا نبع الباعث على البحث من أعماقها ، مستندا الى انفعالاتها ، متأثرا بانطباعاتها ليراها القارىء ماثلة بين سطور ما تكتب باسمة أو دامعة ، شجاعة أو مترددة ، خيّرة أو غير خيّرة ، متحفظة أو متحررة . ولا بد للقارىء أن يلمح في ثنايا كل كلمة من كلماتها نظرة من نظراتها الحانية أو المتعطشة ، ويشعر بأنفاسها ، ويتلمس مشاعر الأنثى الواجمة أو الراجفة الساخطة أو الراضية ، فينتفض معها وينتعش لانتعاشها ، كأنها حاضرة أمامه ماثلة أمام ناظريه .

واذا نفذ أدب المرأة الى قلب القارىء ، تميّز أدبها بخاصيته الجديرة بالاعتبار . على أن الأدب النسوي لم يزل يتأرجح بين الدفء والصقيع ، لعدم اعتماد المرأة على مواهبها اعتمادا كاملا دون مشاركة الرجل ، بدليل أن الصحف تطالعنا كل يوم بمقالات تحمل أسماء محترفات أوهاويات ، عدا ما تخرجه دور النشر من انتاجهن فإذا استفتينا القراء في مدى تأثرهم بما يقرأون وهل تراه يحمل أنفاس المرأة حقا ، لجاءت النتيجة في ظنّي مشعرة بأن المرأة لم تستطع حتى الآن أن تطلق أنفاسها العبقة على صفحات الـورق .

وأحيانا تتأثر الدنيا جميعا بأدب كاتبة بعينها . وقد لا يكون في أدبها جديد بالنسبة للدنيا ، ولكن الجديد فيه أنه كشف شيئا خفيا من الطوايا أو كشف المجهول من أمر المرأة ، أو كشف

الحنان الزاخر ، أو كشف تضحية أم عانت من صروف الدهر فوق ما يعانيه الرجل ، أو كشف عن مقاييس الوفاء والنضال والمحبة وصوّر مآسي الحياة ، أو كشف عن مشاعر ابنة بارّة أو خواطر فتاة شريدة بائسة أو سيرة ابن عاق أو بارّ بوالديه ... المهم أن تلج الكاتبة أبوابا لم يطرقها الرجل من قبل ولا يستطيع أن يطرقها بنفس الدقة لأنه يعيش بمعزل عن الأحاسيس التي خالجت قلب الكاتبة ، كما أنه لا يستطيع أن يفكر بعقل المرأة مهما أوتي من رهافة الحس أو القدرة على التصوّر .

فهل سجل الأدب النسوي انطباعات المرأة في شتى ميادين الحياة تسجيلا موصولا بالخلود ؟ يبدو أن الجواب على هذا التساؤل أدعى الى النفي ، ولذلك يأخذ علينا الرجال قصورنا الأدبي وكان في مقدمتهم العقاد رحمه الله . وقد يكون لهم عذر في ذلك ، لأن ما ينشر من الأدب السوي يقل فيه ما يثبت أنه من نبع امرأة ، اذ المشاهد أن أدب فتياتنا المتأدبات تجول فيه أقلام الرجال وتصول ، وما دام هذا سبيل الشهرة فلا بأس عند بعضهن من التضحية بالشخصية ، وهي تضحية غالية .

وليس من ينكر أنه من الخير للحركة الأدبية وللمجتمع الانساني أن يكون للأدب النسوي مكان مقدور في عالم الفكر والثقافة وأثره المباشر في السمو بالقيم الانسانية الأصيلة .

فالمرأة بحكم فطرتها وطبيعة مزاجها أرّق من الرجل عاطفة وأصفى روحا ، كما أنها أوفر منه فهما للجمال الذي ينبثق منه الفنّ على اختلاف ألوانه . اذ لولا التذوق الفني لما تمخض عقل فنان عن ابتداع أو قلبه عن مشاعر تفيض بالروعة والجلال . والمرأة في مجموعها ، على أي صورة كانت ، جزء من الجمال الكلي الذي خلقت به ، وهي لذلك أقدر على تصويره وأجدر بأن تتولاه وتعنى بدراسته واستغلاله لتجميل الحياة .

لذلك فمن أفدح الخسائر على الحركة الأدبية أن تبقى هذه الخصائص العالية والمواهب الكريمة معطلة في المرأة اذا انصرفت عن الأدب ولم تحاول أن تتشبع بفنونه تشبعا كاملا يورثها النبوغ والاجادة ويظهر السمات الأنوثية باهرة في الميدان الأدبي .

فإذا التزمت المرأة بخصائص طباعها في أدبها ، أثمر هذا الأدب ثمارا كفيلة بتغذية الأرواح المتعطشة الى الجمال والكمال ، ولا تلبث حتى تضفي على الدنيا كلها ما يلهب حماسة الرجل ويدفعه الى التماس أبواب جديدة يطرقها في ميادين الأدب ويفتح بها فتوحا ممتازة في هذا المضمار .

وأبرز ما يساعد الأدب النسوي لتكون له قيمته الممتازة ومنزلته الرفيعة وليكون خير أداة لتهذيب النفس وترقية العاطفة وخلق جيل تعتز به الانسانية هو قدرة المرأة على التصور . صحيح أن لكل امرىء طاقة تصور تعينه على العمل في الميدان الذي يألفه ويهواه ، لأن الفنان لا يستطيع أن إكتب مقالا أو يضع قصة أو ينظم قصيدة أو يرسم لوحة أو ينحت تمثالا دون أن يتصور موضوعه قبل تكوينه ، فالتصور عامل مصاحب لكل ألوان الفنون ، ويحتاج اليه الفنان لينجح في عمله ، ولكن المرأة أقدر على تفهم خفايا النفس الانسانية لقدرتها على تصور هذه الخفايا بمشاعرها المرهفة . وهذه الطاقة التي استودعها الله اياها تنقل الى ذهنها دقائق الأمور من صور الحياة ، وتنقلها هي بالتالي الى الحياة بعد أن تعكس أضواء تلك الرسوم في صور تختلف باختلاف استعداد كل كاتبة . فقد تبدو في صور شعرية أو قصصية أو في رسوم تتكلم بالظلال والأضواء أو في ألحان منغمة تحكي أقاصيص الدنيا من بدء الخليقة الى يوم الناس هذا .

وتتميز طاقة التصور التي تنفرد بها المرأة بأنها ذات قوة ديناميكية هائلة تظهر في العمل الأدبي أجمل ما يكون الظهور . فبقدر استغلالها استغلالا سليما يكون النجاح في النهاية . وبقدر سوء استغلالها يظهر النقص . هذا الى أن المرأة قادرة دائما على ضبط معايير تصورها وفقا لزخم مشاعرها .

كما يتميز أدب المرأة بأنه مستمد من واقع حياتها . وهي تعيش أحيانا مع نفسها على حساب الحياة ، أو تعيش مع الحياة على حساب نفسها ، وفي الحالين تستمد مادتها من الحياة مباشرة لذلك يستشعر القارىء لأدبها نكهة خاصة اذا كان صورة مطابقة لانفعالاتها وتفكيرها وحسّها ، كما أنه يحس باحساس يغمره ويدنيه من الواقع الذي صورته ، ويتجاوب مع هذا الأدب تجاوبا يختلف اختلافا بيّنا عن تجاوبه مع أدب الرجل . وهذا لا ينفي أن هناك كاتبات ما زلن مفتقرات الى خصائص الأدب النسوي بسبب تأثرهن بأدب الرجل وعدم استقلالهن بشخصية أدبية متميزة .

على أن الواقع يؤكد أن لكل أديبة عربية اتجاهها الخاص في الكتابة وفي معالجة القضايا الأدبية والفكرية ، اذ أن لكل منهن ثقافتها الخاصة وتفكيرها المستقل . فالدارس لأدب المرأة في الأزمنة القريبة يراه متشحا بوشاح الحشمة والحياء ، ملتزما الانطوائية والحذر تمشيا مع التقاليد التي كانت غالبة في ذلك الوقت . فادب وردة اليازجي ، وأمينة نجيب ، وملك حفني ناصف يصوّر هذا اللون المشوب بانكار العاطفة وتجاهلها ، وكان بذلك أدبا تقليديا .

ثم جاءت الحرب العالمية الأولى فتركت أثرا في الأدب النسوي من مقوّماته انطلاق المرأة الى مساندة الرجل والمجاهرة بآرائها وخواطرها في جرأة متحفظة . وقد مثّل هذا الطور ميّ زيادة ، وعائشة تيمور ، وملك حفني ناصف في أدبها المتأخر . وعلى الرغم من ظهور هذا اللون من الأدب النسوي ومساندة الرجل للكاتبات لكي يشاركن في الحياة العامة ، فإن الكاتبات مي وعائشة وملك انتهزن هذه الفرصة ليلقحن وجدان المرأة بمصل المشاعر الطليقة ، ولكن أدب المرأة لم يستطع مع ذلك أن يتخلص نهائيا من القيود التي كانت تشده الى التقليدية. صحيح أن المرأة لم تكن دون الرجل ذكاء وموهبة ، ولكنها لم تكن قد تهيأت تماما لممارسة الأدب على مستوى الفكر المتحرر ، وان بدا لها أن تقنع باصدار مجلات

تثبت بها وجودها . وظهرت فعلا طائفة من المجلات لنساء عربيات في الشام ومصر ، ولكن أكثر المقالات التي كانت تنشر فيها كانت بأقلام الرجال ، أما مقالات النساء فقلّ فيها ما يصور طابع الأدب النسوي لاعتماد المرأة على الرجل اعتمادا مطلقا تقليدا ومحاكاة ومسايرة ومجاراة .

وفي الوقت عينه حاول بعض الأديبات تأكيد شخصياتهن المستقلة وآرائهن الخاصة في أمور أوضاع المرأة الاجتماعية كما فعلت روز أنطون حداد ، ولكن معالم الأدب النسوي لم تتجلّ بوضوح في تلك الآثار لا أسلوبا ولا فكرة ، وان يكن لأولئك الكاتبات فضل الريادة وفتح الطريق أمام القادمات من بعدهن . وفي ذلك الوقت كان أدب المرأة مزدهرا في الغرب ، وكانت الدنيا بأسرها تصفق « لفيكي باوم » لأنها تمتاز بالحنان ، الحنان الذي لا يجاريها فيه الرجل . وأثبت الأدب النسوي الغربي وجوده المؤكد الراسخ في ما بعد بفضل « بيرل باك » ، و « هلن كلر » ، و «سيمون دي بوفوار » وغيرهن .

وفي الثلاثينات من هذا القرن بدأ الأدب النسوي يخطو في غير تعثر ، وانفرجت جنبات العروبة عن أنسام معطرة بأريج أنفاس كاتبات ناضجات فكرا ، واسعات ثقافة ، ناهضات أدبا . وتربع على عرش الأدب النسوي أديبات لامعات أثبتن بأدبهن أن المرأة لا تقل عن الرجل ثقافة ونضجا وقدرة .

وفي طليعة الأديبات اللاتي أقمن صرح الأدب النسوي المعاصر سهير القلماوي ، وهي تمثل الأدب الذي تفجر من ينبوع الجامعة بعيدا عما يثير الصراع بين الآراء المختلفة ، ملتزما جانب النقد الأدبي . وقد أثبتت بما قدمته أن المرأة الناقدة خير مثال لقوة الادراك وأصدق مقياس لضبط المعايير الأدبية بجانب صبر وحكمة وروية وأناة . وأكبر ما تتميز به سهير القلماوي هو حاستها النقدية الحيّة المرهفة وذوقها المعتدل وأحكامها الموزونة .

وبنت الشاطيء ، عالجت بقلب الأنثى النابض شؤون الريف في باكورة حياتها الأدبية ، وبأسلوبها القوي نبهت الى أسباب الاصلاح ، ثم شدّها أدب القرآن الرفيع ، فعالجته من زوايا شتى ، ساردة سير أبطاله ، مفسرة أحكامه ، معالجة بلاغته ، وأثبتت بذلك قدرة المرأة في شؤون الفقه .

ووداد سكاكيني ، الأديبة السورية اللامعة ، من نبع المرأة العربية الأصيلة ، قدمت للأدب أسمى القيم وأعمق الكنوز غير قانعة بالسطحية ، بل متغلغلة في الأعماق لتبلغ الجوهر . وهي نموذج ممتاز للأديبة التي عرفت كيف تصوغ من خصائص الأدب النسوي ما يتفق مع رسالتها الثقافية وما يفخر به الأدب العربي في جميع العصور .

وأمينة السعيد كيّفت خصائص الأدب النسوي وفق مطالب الصحافة ، ففتحت برجا في الصحافة تعالج منه مشكلات المرأة بحصافة ومهارة ، فربطت بين طبيعة الأنثى الرحيمة وحكمة المرأة الخبيرة وحنكة الكاتبة المجيدة ، وعالجت مشكلات الجماعة عن طريق الاسهام في حل مشكلات الفرد . فوفقت بذلك بين الصحافة والأدب والاجتماع .

ونعمات أحمد فؤاد كادت تتخصص في أدب التراجم ، فتناولت بأسلوبها المشرق السلس سير أدبية خصبة ، وعرفت كيف تستخلص منها كريم المبادىء وثمين الدروس ، كما عرفت كيف تصوّر النزعات الانسانية المثلى أجمل تصوير . ورسائلها الى ابنتها آية في تمجيد الأمومة والطفولة في وقت واحد ، كما أنها لون متميز بذاته في الأدب العربي الحديث .

وفدوى طوقان شاعرة تفيض بأحاسيس المرأة التي غمرها طوفان الألم والأسى والشوق ، وشعرها يمثل الحنان الأنثوي والنجوى القلبية والكشف عن المكنون في غير تبذل .

ونازك الملائكة شاعرة العراق ، لها أنفاس امرأة وقوة بيان رجل ، وقد أثبتت بشعرها الرصين طبيعة المرأة بما فيها من صبر وكفاح . ولم يكد يستقر بها المقام عند قمة الشعر القديم حتى لاحت لها مسيرة الشباب الداعي الى الشعر الحر الجديد ، فطاب لها هذا المسلك ، وباركت مسيرتهم ، ووضعت كتابا كبيرا تدافع فيه عن هذا الشعر ، وقد أخذ عليها بعض النقاد هذا الاتجاه . وقد يكون لرأيها وجاهته ، ولكنها في الصورتين تمثل بشعرها صدق تأثرها وانفعالاتها .

وعاتكة الخزرجي ، شاعرة عراقية مجيدة شهد لها بالتبريز عزيز أباظة وجورج صيدح وبدوي طبانة ومحمد عبد الغني حسن وغيرهم من أدباء العصر ، وهي تمثل جمال الشعر الممتزج برقّة المرأة وشفافية عاطفتها .

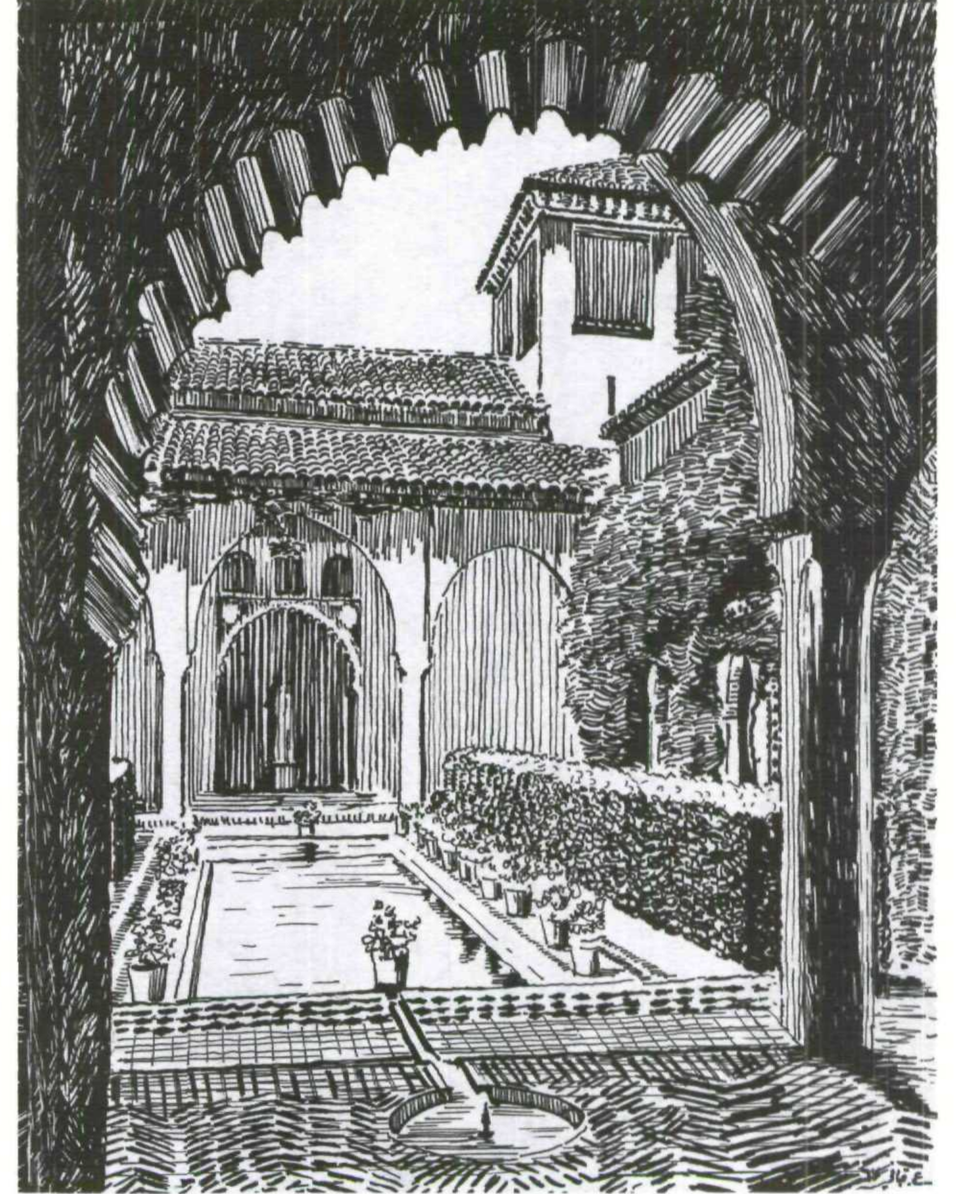
وغيرهن أديبات هنا وهناك ، اتخذن الترجمة وسيلة للتعبير عن أهدافهن وآرائهن في الحياة ، ويمكن تسمية هذا اللون بالأدب التقليدي لأنه لا يتصل اتصالا مباشرا بتفكير المرأة ومشاعرها ، لأن الأديبة تصبح كآلة التصوير تعكس الصورة كما هي بغير حسّ . ولو استغلت طاقتها الأدبية لتكشف عما وراء الصورة من خفايا محجوبة ، لكشفت عما تواريه سطور المؤلف . على أن هذا لا يعيب الكاتبة التي تجنح الى الترجمة ، ولكنه لا ينتمي الى خاصية الأدب النسوي الذي يتحتم أن ينبع من أعماق المرأة ويعكس صور حياتها في بيتها وفي مجتمعها وفي أي مكان تخطو بقدمها فيه وتشرئب روحها اليه وتطير نفسها باحثة عما تريده متسامية عن كل ما لا ينتمي الى الأنوثة الكريمة بصلة .

واليوم وقد انطلق الأدب النسوي من اساره لا يقيده شيء ، وانفسح مجال النشر أمام الكاتبات في الصحف وفي الكتب المنشورة ، فالمأمول أن تستقر لهذا الأدب خصائصه المميزة المأثورة عنه ، وأن يغدو أدبا نسويا صرفا لا تشوبه شائبة .

واليوم يستطيع القاريء اذا قرأ مقالا لكاتبة ما ، وكان اسمها محجوبا عنه ، أن يميز أسلوبها ويقول انه اسلوب أنثوي وان التفكير تفكير أنثوي ، فعندئذ يكون الأدب النسوي قد وقف على ساقيه تماما مستقلا عن أدب الرجل . ولا ريب أن ما تناله المرأة من تشجيع القراء سيكون ذا أثر كبير في ايصالها الى هذا المقصد في وقت ليس عنا ببعيد .

مآثر أدبية في الأندلس

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان



شهدت في شهر ديسمبر الماضي (رمضان ١٣٨٦ ﻫ) جلسات الدورة الثقافية العربية الاسبانية ، التي عقدت في ثغر مالقة ، واشتركت في أعمالها الى جانب زملائي من العلماء العرب والاسبان والفرنسيين وغيرهم ، وكانت ندوة زاخرة بالمحاضرات والبحوث المتعلقة بتاريخ الأندلس وآدابها وحضارتها .

سمعنا فيها بحوثا عن الممالك الأندلسية التي قامت في مالقة ، وعن تلخيص كتاب « النفس » لابن رشد ، وعن العمارة المالقية ، وعن ابن حزم العلامة المنطقي ، وعن منشآت التحصينات في قشتالة في عصر الخلفاء ، وعن فلاحة البساتين الأندلسية ، وعن وصف جديد لقرطبة الاسلامية ، وعن قصر بني صمادح بالمرية ، وعن سليمان بن جلجل وكتابه «طبقات الأطباء» ، وعن الزرقالي و بحوثه الفلكية ، وغير ذلك من البحوث الأندلسية الهامة .

وسوف تعقد في مدينة قرطبة عاصمة الخلافة القديمة ، ندوة عربية اسبانية أخرى لتكريم ذكرى العلامة الفيلسوف القرطبي أبي الوليد بن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ ﻫ (١١٩٨ م) يشترك فيها رهط كبير من العلماء من مختلف البلاد ، وفي مقدمتهم العلماء الاسبان والعرب . وسوف تلقى فيها بحوث عديدة عن ابن رشد ، وتفكيره وفلسفته ، وعن ظروف عصره ومجتمعه ، وقد وضعت الحكومة الاسبانية هذه الندوة تحت رعايتها ، وعنيت بلدية قرطبة ، بان تقيم للفيلسوف القرطبي المسلم ، تمثالا في أحد ميادين المدينة المهمة على نحو ما فعلت في مهرجان ذكرى الفيلسوف الامام ابن حزم في سنة ١٩٦٣ حيث أقامت له تمثالا ، نصب على باب العطارين ، على مقربة من جامع قرطبة .

ولقد كانت هذه الندوة العربية الاسلامية تعقد بدار الثقافة التي تقع بجوار قصبة مالقة الشهيرة ، وهي من أعظم الآثار الأندلسية الباقية ، ولقصبة مالقة هذه تاريخ طويل حافل ، وقد كان بنو حمود الأدارسة حينما أقاموا ملكهم بمالقة في أوائل القرن الخامس الهجري ، هم أول من عني بتجديد قصبة مالقة التي كانت تضم عندئذ قصر الأمير ، ولم يزل بها الى اليوم جناح مجدد من أجنحة قصر بني حمود . على أن قصبة مالقة تدين بضخامتها ومنعتها بالأخص لباديس بن حبوس ملك غرناطة البربري أيام الطوائف . فقد انتزع باديس مالقة من الحموديين سنة ٤٤٩ ﻫ (١٠٥٧ م) وجدد قصبة مالقة تجديدا شاملا ، ووسع منشآتها حتى غدت من أعظم القصبات الأندلسية ، ثم توالت عليها من بعده تغييرات وتجديدات كثيرة ، وأصلحت وجددت غير مرة على يد سلاطين غرناطة وذلك خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر من الميلاد . وما تزال قصبة تضم جناحا مجددا من الأبنية الغرناطية .

والى جانب هذا الأثر الأندلسي الكبير الذي كنا نشاهد أسواره وأبراجه كل يوم ، في مجيئنا الى دار الثقافة ، وحين انصرافنا منها ، كانت

تساورنا ذكرى طائفة من أعلام مالقة في عهدها الاسلامي ، وبخاصة ذكرى ابنها العالم النباتي العبقري ابن البيطار المالقي ، الذي نبغ في أوائل القرن السابع الهجري ، وطاف بأنحاء المغرب ومصر والشام وآسيا الصغرى وبلاد اليونان ، يدرس النبات والأعشاب الطبية ، ثم ترك لنا كتابيه الشهيرين « الجامع في الأدوية المفردة » و « المغني في الأدوية المفردة » ، وتوفي في دمشق سنة ٧٤٦ ﻫ (١٣٤٥ م) .

والذي يلفت النظر في أمر هذه الندوات والمهرجانات العربية الاسبانية ، وتكررها على هذا النحو المنظم ، ليس هو ما يتخللها من الحفلات والمشاهد الاجتماعية المبهجة ، والمحاضرات والمقالات العلمية المنوعة ، لتكريم ذكرى أئمة التفكير الأندلسي ، وانما هو قبل كل شيء ذلك المغزى العميق الذي تنطوي عليه تلك الظواهر المشتركة ، بين أبناء التراث المشترك ، وذلك التضامن بين الاسبان والعرب ، في التنويه بأمجاد الماضي المشترك ، وبعث ذكريات اسبانيا المسلمة في اطار من التقدير والتمجيد والاعتزاز ، وهي ظاهرة جديدة لم يكن لها من قبل وجود في عالم التفكير الاسباني .

ذلك أنه قبل نصف قرن فقط ، كان التفكير الاسباني ما يزال على اتجاهه القديم المأثور ، من النظر الى تاريخ الأندلس والى تراثها ، بعين البغضاء والمقت ، والى الانتقاص من قيمة تراث الأندلس الفكري والحضاري . كان هذا الاتجاه المتحيز هو الغالب على التفكير الاسباني ، وعلى معظم ما يكتب في الاسبانية عن تاريخ الأندلس وحضارتها . ولكن العناصر الرشيدة المعتدلة أخذت تبدو في التفكير الاسباني منذ أوائل هذا القرن ، وكان احتفال الحكومة الاسبانية عام ١٩٢٩ بالذكرى الألفية لقيام الخلافة الأندلسية بقرطبة ، على يد عبد الرحمن الناصر ، من أهم مظاهر هذا التحول في تقدير تاريخ الأندلس وتراثها . وجاء من بعد ذلك نفر من أكابر العلماء الاسبان ، يدافعون عن الأمة الأندلسية ، وعن تاريخها وحضارتها ، ويعتبرون أن تاريخ الأندلس ليس سوى صفحة من أمجد صفحات التاريخ الاسباني ، وكان في مقدمة هؤلاء العلماء الأستاذ « كونثالث بالنسيا » ، الذي تحدث في رسالته الشهيرة « تأثير الحضارة العربية في الحضارة الاسبانية » حديثا طويلا مدعما بالأدلة والأسانيد القوية ، وأنصف الأمة الأندلسية انصافا كاملا شاملا .

واليك بعض ما يقوله هذا العلامة في رسالته : « ان العمارة المدنية ، والدينية في بعض نواحيها ، والفنون الرفيعة ، والحياة المرفهة ، بين المواطنين الاسبان ، كانت تقوم على تراث المسلم الأندلسي . ولقد كان المنزل القشتالي يعكس تكوين المنزل الأندلسي نفسه ، وحتى القصور الملكية ، كانت صورة من القصور الأندلسية . والواقع أنه لا مجال للدهشة من تكدس هذه المؤثرات الحضارية العربية الأندلسية في الحضارة المسيحية لشبه الجزيرة الاسبانية . ذلك أن الحياة المشتركة مدى قرون عديدة للحضارتين ، كان لا بد أن تحدث أثرها . على أن هذا الأثر لم يقف عند شبه الجزيرة الاسبانية بل لقد ترك في أوربا بأسرها آثارا يمكن تقصيها . »

ومنذ أعوام تنعقد الندوات والمهرجانات الثقافية العربية الاسبانية بصورة منظمة . وقد عقد منها حتى اليوم خمس ندوات ، عقدت على التوالي في غرناطة ، وقرطبة ، ومرسية ، وبلنسية ، ومالقة . وقد كانت هذه الندوات التي يحتشد فيها العلماء الاسبان الى جانب زملائهم العلماء العرب ، ويلقون بحوثهم في التنويه بذكرى عظماء اسبانيا المسلمة ، وبتراثها الحضاري المجيد ، كانت في الواقع ذروة هذا التطور العميق في التفكير الاسباني نحو تاريخ الأندلس والحضارة الأندلسية ، وذروة هذا التضامن العلمي بين الشرق والغرب ، وبين أبناء التراث الحضاري المشترك .

وان هذا التطور في التفكير الاسباني نحو الأندلس وتراثها ، ليعتبر بالنسبة للمشرق وبالنسبة للعرب بوجه خاص ، كسبا أدبيا ومعنويا . ومن المحقق أن هذا الاتجاه الجديد نحو تقدير التراث الأندلسي ، سوف يكون له أثره العميق في التفكير الغربي بوجه عام .



في حسن الخلق

حسن الخلق : أن يكون المرء لين الجانب ، طلق الوجه ، قليل النفور ، طيب الكلمة ، تدوم بين الناس محبته ، وتتأكد مودته ، وتقال عثرته ، وتهون زلته ، وتستر عيوبه . فإذا حسنت أخلاق الانسان كثر مصافوه ، وقل معادوه ، وتسهلت اليه الأمور الصعاب ، ولانت له الأفئدة الغضاب . ومن ساءت أخلاقه ، ضاقت أرزاقه ، والناس منه في شؤم وبلاء ، وهو من نفسه في تعب وعناء . وأما من ألان للخلق جانبه ، واحتمل صاحبه ، ولطفت معاشرته ، وحسنت محادثته ، مال اليه الخلق ، واتسع له الرزق ، وهو من نفسه في راحة ، والناس منه في سلامة ، وأدرك المطلوب ، ونال كل أمر محبوب .

اذا لم تتسع أخلاق قوم
تضيق بهم فسيحات البلاد

في المروءة

المروءة : صفة جامعة لصفة الكمال ، حاوية لمحاسن الخصال ، وسجيّة جبلت على التخلق بها ذوو النفوس الزكيّة ، وشيمة طبعت على حبها أولو الهمم العليّة . وأعظم فضائلها منفعة تعود على بني الانسان مثل مواساة الاخوان ، واغاثة الملهوف ، واغاثة الضعيف ، وحفظ العهد ، والوفاء بالوعد ، والتعفف عن الحرام ، والتخلق بأخلاق الكرام ، ومودة القربى ، وصلة الأرحام ، وقضاء حوائج الناس ، والانصاف في الحكم ، والكف عن الظلم .

في الاخاء

ينبغي للانسان الا يتخذ من اخوانه الا من اختبر شئونه قبل اخائه ، وكشف عن أخلاقه قبل اصطفائه . فمن وجده محمود الطبائع ، مرضي الأفعال ، محبا للخير آمرا به ، كارها للسوء وللشر نائيا عنه حافظا لعهده ، ذاكرا لودّه ، اتخذه صديقا وحبيبا ورفيقا . وليحذر المرء مصاحبة الأشرار اللئام ، فإن مودة الدنيء الشرير تكثر الأعداء وتفسد الأخلاق ، ولا خير في مودة تجلب عداوة وتورث مذمة . والعاقل يصطفي من الاخوان ذا الرأي والأدب ، من يكون مساعدا له على نوائب الدهر ، وعونا له على حاجته .

في الوفاء

الوفاء : مراعاة العهد ، وتجنب خلف الوعد ، وحفظ الود ، وهو أحسن شمائل الانسان ، وأوضح دلائل الفضائل والاحسان ، وأقوى وسائل أسباب المجد ، وأحق الأفعال بالشكر والحمد ، تمس الحاجة اليه ، وتجب المحافظة عليه . فمن تحلى بالوفاء ، وتخلى عن الجفاء ، وراعى عهد اخوانه ، وحفظ حقوق أوطانه ، وجبت مودته ، وحسنت سيرته ، وكملت مروءته .

ثبتت على حفظ العهود قلوبنا
ان الوفاء سجية الأحرار

خزّان الزيت



اول خطوة في مراحل بناء خزان الزيت هي تمهيد الرقعة التي سيشاد عليها الخـــزان .

قصة سنة من الدراسة والتصميم والبناء

رفع الطاقة على الانتاج يصحبه دائما تطور في المرافق والمنشآت . ولما كانت شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) تحرص دائما على تأمين طلبات الأسواق المتزايدة على منتجاتها البترولية كان لا بد لها من تطوير بعض مرافقها ومنشآتها الضرورية، وتشييدالمزيد من الخزانات والصهاريج الضخمة الكفيلة باستيعاب كميات الانتاج المتدفقة من حقول الزيت لجعلها جاهزة رهن الطلب . ونتيجة لذلك قامت أرامكو بزيادة عدد مراسي فرضة رأس تنورة البحرية ، لاستقبال المزيد من الناقلات وتسهيل عمليات الشحن والتعبئة ، كما عمدت الى بناء جزر اصطناعية ، ليمسي باستطاعتها استقبال كبريات الناقلات وتحميلها بسرعة وسهولة .

ان اشادة الخزانات عملية فنية تتطلب جهدا ودراسة . فالخزان الواحد مثلا يستغرق بناؤه سنة كاملة من العمل المتواصل وتتعاون في بنائه فئات مختلفة من العمال والبنائين والنجارين والحدادين واللحامين والميكانيكيين والسباكين والكهربائيين وغيرهم . وفي جولتي هذه مع القراء ، سأحاول قدر المستطاع أن أميط اللثام عن كيفية بناء خزان الزيت ، متوقفا قليلا عند كل مرحلة من مراحل انجازه .

مرحلة التصميم

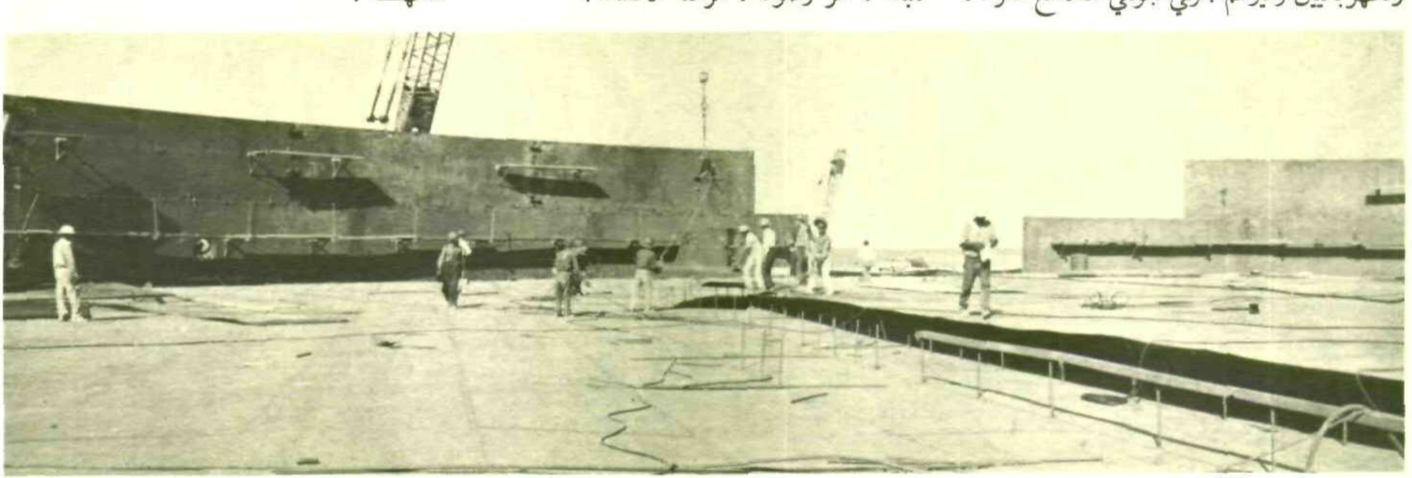
وتبدأ قصتنا من فكرة تختمر في رؤوس مهندسي البترول في الحقل . وبموجب مواصفات يضعها المهندسون عن سعة الخزان والغرض الذي سيستخدم من أجله ، يشرع في تصميم الخزان واعداد الخرائط التفصيلية له ، متضمنة مقاسات الخزان ، ونوع المعدن المتوجب استخدامه والصمامات الضرورية ، وكذلك حجم أنابيب التعبئة والتفريغ الى ما هنالك من المعلومات الايضاحية . ثم تعرض هذه الخرائط على شركات المعادن العالمية لدراستها ، وتقديم الأسعار والعطاءات .

وتصنع الشركة المعنية ألواح الحديد الصلب التي سيبنى منها الخزان حسب المواصفات المطلوبة ، ثم تشحن الوصلات الى مكان العمل لتبدأ ، أثر وصولها ، مرحلة الانشاء .

مرحلة الانشاء

للوقوف على تفاصيل مرحلة الانشاء ، زرت ساحة الخزانات في رأس تنورة حيث يجري حاليا اشادة ثلاثة خزانات ذات سطح عائم ، للزيت الخام ، وخزان كروي لغاز البترول السائل . وتبلغ سعة كل منها ٥٠٠٠٠٠ برميل ، باستثناء خزان غاز البترول السائل الذي تبلغ سعته ٤٠٠٠٠٠ برميل . هذا وقد تقرر بناء خزانين جديدين ، سعة كل منهما ٦٣٠٠٠٠ برميل من الزيت .

وأول خطوة في مرحلة البناء هي تمهيد الرقعة التي سيشاد عليها الخزان . وتشمل هذه المرحلة قبل كل شيء دراسة مدى تحمل التربة لوزن الخزان ، وبالتالي تسوية الأرض وتمهيدها جيدا ، ثم بناء حلقة من الاسمنت يساوي قطرها قطر الخزان المنوي بناؤه ، لتملأ بطبقة من (الطين الخزفي) تعلوها طبقة من الرمل والزيت ، ورص الأرض جيدا لتمسي مستوية مع سطح الحلقة نفسها .



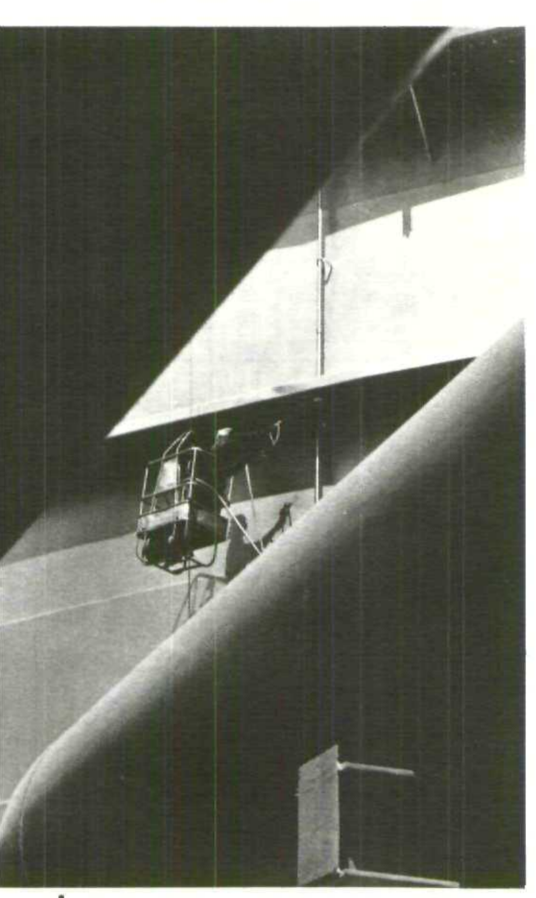
تصنع جوانب الخزان من ألواح فولاذية أكثر سمكا من تلك التي تستخدم في صنع القاعدة .

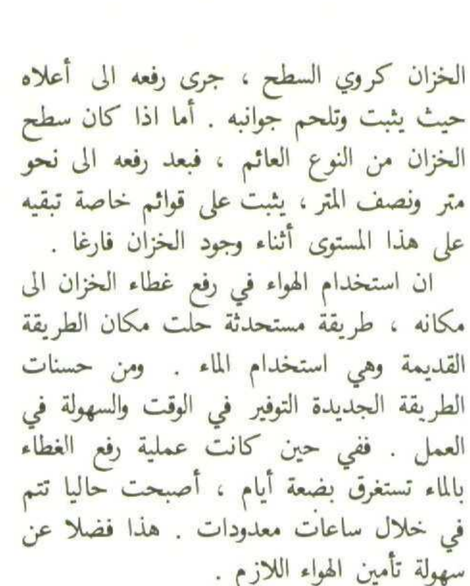
وأثر مرحلة التمهيد ، التي تتم عادة بواسطة مقاول سعودي، تبدأ مرحلة بناء الخزان التي تقوم بها الشركة الصانعة نفسها ، مستخدمة في العملية عمالا سعوديين أكفاء ، يقومون تحت اشراف الفنيين المسؤولين بلحم وصلات الحديد الصلب الواحدة تلو الأخرى ، بواسطة آلة لحام خاصة ، تمر مرة من الداخل وأخرى من الخارج .

وأول ما يجري صنعه قاعدة الخزان ، وهي تبنى حسب المواصفات الموضوعة ، من الواح سمك الواحد منها ثلاثة أرباع البوصة تلحم جوانبها باحكام لتكون في النهاية سطحا مستديرا قطره نحو ٢٦٥ قدما . ثم تصنع جوانب الخزان ، من ألواح فولاذية أكبر سمكا من تلك التي تستخدم في صنع القاعدة . هذه الألواح ينقص سمكها كلما ارتفعت الجدران ، فحين يبدأ البناء بألواح سمكها ١ ½ بوصة ينتهي في القسم الأخير بألواح سمكها حوالي ¾ بوصة . وهذه الألواح تلحم فوق بعضها البعض ، ليليها بناء سقف الخزان من ألواح فولاذية رقيقة نسبيا يبلغ سمك الواحد منها ¼ بوصة . ويبنى السطح فوق أرض الخزان . وبعد بنائه ، يمرر من تحته تيار من الهواء فيرفعه الى العلو المراد ، فإن كان الخزان كروي السطح ، جرى رفعه الى أعلاه حيث يثبت وتلحم جوانبه . أما اذا كان سطح الخزان من النوع العائم ، فبعد رفعه الى نحو متر ونصف المتر ، يثبت على قوائم خاصة تبقيه على هذا المستوى أثناء وجود الخزان فارغا .

ان استخدام الهواء في رفع غطاء الخزان الى مكانه ، طريقة مستحدثة حلت مكان الطريقة القديمة وهي استخدام الماء . ومن حسنات الطريقة الجديدة التوفير في الوقت والسهولة في العمل . ففي حين كانت عملية رفع الغطاء بالماء تستغرق بضعة أيام ، أصبحت حاليا تتم في خلال ساعات معدودات . هذا فضلا عن سهولة تأمين الهواء اللازم .

أما عملية بناء خزان غاز البترول السائل فتختلف عن عملية بناء خزان الزيت في أمرين جوهريين ، وان كانت مراحل الصنع تكاد تكون واحدة ، اذ تصنع القاعدة أولا ، فالجوانب ثانيا ، فالسقف في النهاية . وهذا الاختلاف هو أن قاعدة خزان غاز البترول السائل تتضمن أثناء بنائها أنابيب تبريد ، وان جدرانه وسقفه تحاط بطبقة عازلة تحفظه من التعرض للحرارة الخارجية . والطبقة العازلة هذه عبارة عن طوب


يدهن الخزان من الداخل والخارج بدهان واق من الصدأ .


سطح الخزان كما يبـدو من اعلى .



يبنى حول كل اثنين أو ثلاثة خزانات جدار من الاسمنت يحول دون انتشار الزيت الى بقية الخزانات في الحالات الطارئة .

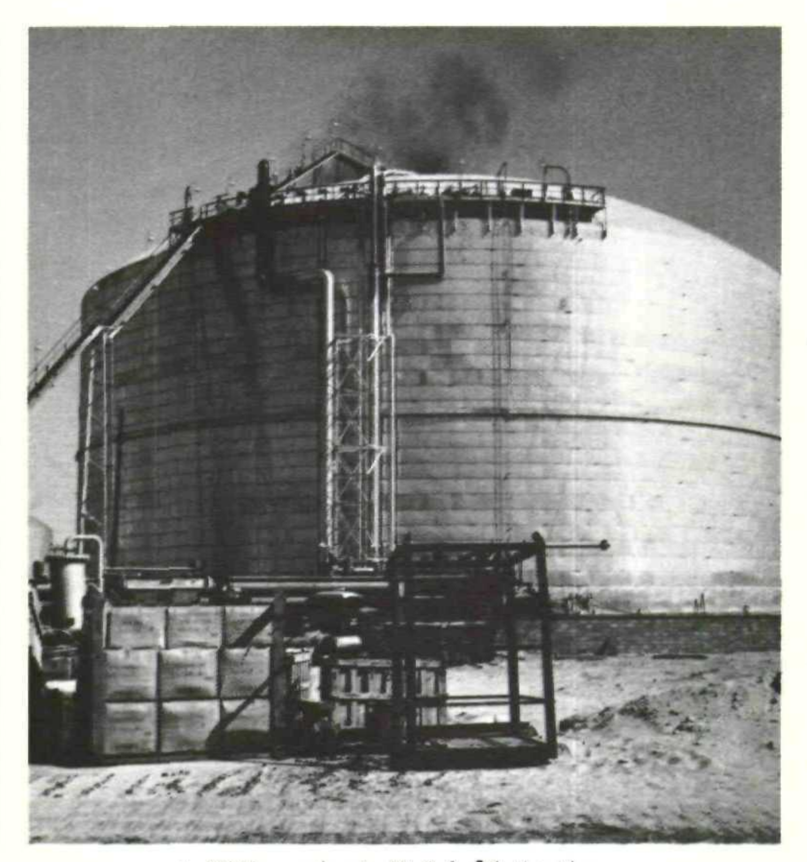
مصنوع من الألياف الزجاجية ، (شبيه في حجمه وشكله بطوب الاسمنت العادي) يبنى ملتصقا بجدران الخزان وسقفه المقبب من الخارج ، ثم يغطى بطبقة رقيقة من الألومينيوم لوقايته .

الدهان والتمديدات الكهربائية والأنابيب

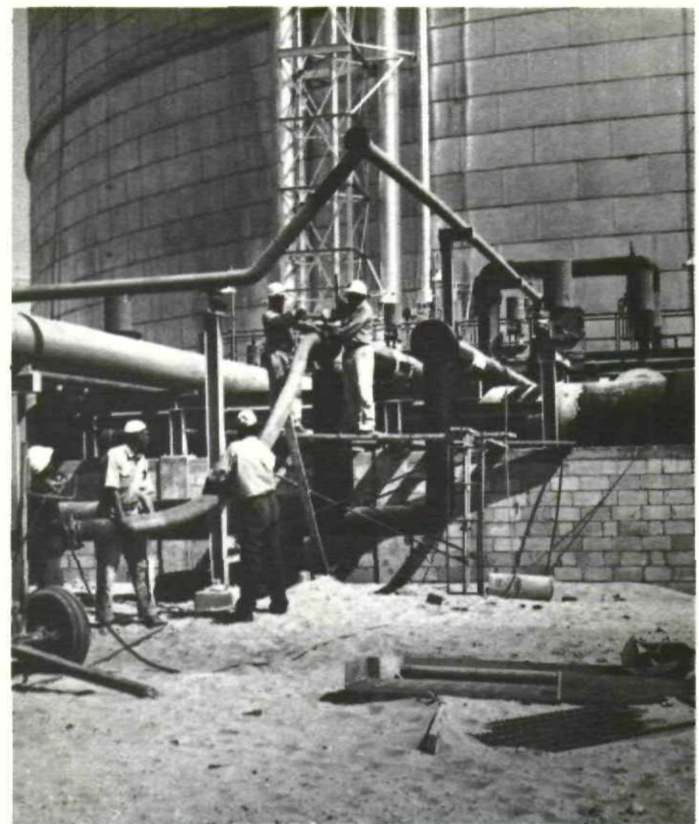
وما أن ينتصب الخزان شامخا حتى يبدأ بطلائه من الداخل والخارج بدهان واق من الصدأ . وبعدئذ يمد أنبوبا التعبئة والتفريغ . وفي الخزانات التي يجري انشاؤها حاليا يبلغ قطر أنبوب التعبئة ٣٠ بوصة بينما يبلغ قطر أنبوب التفريغ ٤٨ بوصة . وفي الوقت الذي يجري فيه مد الأنابيب ، يكون العمل جاريا على بناء مضخة تقوية تعمل على ايصال الزيت من الخزان الى مضخة دفع يتم بناؤها أيضا ، وتقوم بدورها بايصاله الى الجهة المقصودة . وتبلغ طاقة مضخة التقوية ٧٠٠ حصان ميكانيكي بينما تبلغ طاقة مضخة الدفع ١٠٠٠ حصان ميكانيكي . وجميع محطات الضخ وصمامات الأنابيب وعدادات الخزانات ، مزودة بأجهزة الكترونية متصلة بغرفة التحكم بحيث يمسي باستطاعة المشغّل المسؤول فتح الأنابيب والمضخات واغلاقها بمجرد الضغط على زر معين . وابان العمل على المضخات والأنابيب ، يكون العمل جاريا على بناء جدران حصر الحريق، حتى اذا ما انتهى العمل في جميع هذه الأقسام ، أصبح الخزان جاهزا للاستعمال .

وبانتهاء الخزانات التي يجري بناؤها حاليا يصبح لدى أرامكو في معمل التكرير برأس تنورة تسعة خزانات للزيت الخام و ١١٤ خزانا للمنتجات المكررة بالاضافة الى ٣٤ خزانا للزيت الخام ، و ٤٨ خزانا للمنتجات المكررة ، وثمانية خزانات لغاز البترول السائل في ساحة الخزانات في الفرضة البحرية . واذا علمنا أن كل خزان يستغرق بناؤه حوالي سنة كاملة ، أدركنا ولا شك مدى الجهود التي بذلت في اقامة مثل هذه المنشآت الضخمة .

والجدير بالذكر أن عملية بناء هذه الخزانات الضخمة بحذافيرها ، أصبحت تتم على أيدي فنيين سعوديين مهرة ، لا يشاركهم فيها سوى بعض الاخصائيين في تقديم الرأي والمشورة والارشاد .



خزان غاز البترول السائل وقد بلغ مرحلة الانتهاء .



بعد الانتهاء من بناء الخزان توصل به انابيب التعبئة والتفريغ . تصوير : مودى

ندوات أدبية

في طريق الزوال والانقراض

بقلم الاستاذ فؤاد شاكر

الندوات التي أعنيها هي الندوات الأدبية في المنازل ، وكانت هذه من سمات مستهل القرن الحالي ، حيث كان الأدباء يجتمعون في منازلهم ويلتقون في بيوتهم . فلم تكن النوادي الأدبية بمعناها الصحيح المعروف شائعة أو مطروقة ، وكان ذلك في جميع البلاد العربية بلا استثناء ، أوحت به ضرورة الرغبة في الحياة الأدبية الاجتماعية ، التي هي أصل من أصول الحاجة الى تداول الآراء ، وتبادل الأفكار ، وانشاء كيان مجتمع انساني يلتقي فيه الناس ، ويستنشقون عن طريقه ملء رئاتهم عبيرا نقيا ، يهيىء لهم الاسترواح والاستجمام واشباع هواياتهم النفسية من أدب وشعر . ثم تزجية أوقات الفراغ بما هو نافع مثمر مفيد ، يعود عليهم وعلى مجتمعهم بكثير من العلم والمعرفة والثقافة واشاعة ألوان من الرأي والاستطلاع .

ذلك شأن من شؤون الحياة ومظهر من مظاهرها ، كان له أبرز الأثر في خلق جو أدبي وعلمي ، ومزاولة حياة بريئة بعيدة عن مظان اللهو والمجون ، والعبث والفتون، وتداول سير الأفراد والجماعات بما لا يليق ولا ينفع .

والندوات المنزلية كانت مظهرا للحياة الأدبية الرفيعة في كثير من البلاد العربية ، أو بلاد « الشرق العربي » كما كانوا يسمونها في مستهل هذا القرن . وأشهر هذه الندوات في مصر ، الى ثلث قرن مضى ، ندوة الآنسة « مي » ابنة السيد الياس زيادة صاحب جريدة « المحروسة » . وقد اشتهرت هذه الندوة ، وانتزعت مقاما ملحوظا في الجو الأدبي الشائع في مصر آنذاك . وكانت الى جانبها ندوات أدبية أخرى مماثلة ، لعل آخرها ، وقد تكون باقية الى اليوم ، هي ندوة السيدة الجليلة « جميلة العلايلي » احدى الفضليات من أديبات هذا العصر ، وقد أتيح لي أن أزورها منذ زمن بعيد .

وبالطبع لا يمكن أن ننسى ندوة أديب العصر وكاتبه البليغ الأستاذ عباس محمود العقاد — رحمه الله — وقد دأبت على ملازمة ندوته في داره بمصر الجديدة كلما استطعت . وندوة الأستاذ العقاد جديرة بأن يفرد لها بحث خاص لما كان لها من مظهر مميز ، وجو علمي رائع .

وكانت هناك ندوة أدبية كبرى ، تقيمها في دارها أميرة مصرية معروفة ، هي لأميرة« نازلي فاضل » ، كان يؤمها الكثير من الأدباء والشعراء ، وطار صيتها في زمنها ، واحتلت مكان الصدارة في الحياة الأدبية آنذاك .

وانني حين أتكلم عن الندوات الأدبية التي انقرضت ، لا أعني تلك الندوات التي تأخذ صفة النوادي العامة ، انما اعني الندوات الادبية المنزلية لأن لها من الصفة الخاصة ما يلفت النظر الى وجودها وأثرها في الحياة الأدبية باعتبارها اجتماعات منزلية ، يوحي بها الجو المنزلي الذي هو مجال هذا البحث .

ففي مكة المكرمة — مثلا — شهدنا الندوات الأدبية المنزلية في أواسط القرن الحاضر ، وهي وان كانت قليلة في المنزل أو الدار ، فقد كان مجالها ، حسب البيئة وطبيعة ظروفها وحرارة الطقس في مكة المكرمة ، في « المقاهي » الرابضة خارج البلدة آنذاك في احياء « جرول » أو « المسفلة » أو « الشهداء » أو غيرها من الأماكن التي كانت خلوية صحراوية يخرج اليها الناس — أدباء وغير أدباء — في ساعات الأصيل ، وفي الهزيع الأول من الليل ، باعتبارها متنفس البلدة ومتنزهاتها . أما في المنازل ، والدارات ، والبيوت ، فانني لا زلت أذكر ترددنا منذ ثلاثين عاما على منزل الشيخ سعيد العامودي ، وهو والد الأديب

الكبير الأستاذ محمد سعيد العامودي ، رئيس تحرير مجلة « الحج » ومجلة « رابطة العالم الإسلامي » . وكان « العامودي الكبير » له محل تجاري بخان « سويقة » في مكة المكرمة ، ومجتمع أدبي في داره بالمسفلة . وقد قال فيه الأديب عبد السلام الساسي آنذاك أبياتا من الشعر في دعابة أدبية مطلعها « في المسفلة منزلي ، وبالخان دكاني » .

وفي جدة ، كانت هنالك ندوات أدبية ، تقام في منازل أدبائها وعلمائها وشيوخها . ولعل أبرزها على الاطلاق ندوة الأدب والعلم والثقافة ، والضيافة أيضا ، التي لا تزال كذلك حتى اليوم في منزل العلامة الكبير الشيخ محمد حسين نصيف .. ذلك المنزل العامر ، الذي ازدحم بالمؤلفات العديدة في مكتبة مثالية كانت – ولا زالت – مقصد الناس من مختلف الطبقات والأجناس .

وفي المدينة المنورة كان « أدب المنازل » شائعا الى عهد قريب على مستوى رفيع ، فكانت هناك ندوات خاصة تعقد في بعض البيوت التي انفردت باستقبال الأدباء والعلماء والشعراء والظرفاء ، حيث يجري تبادل الآراء والدعابات والفكاهات ، وتداول الأدب والشعر والمساجلة في مختلف أفانين القول ومذاهب الكلام . ومن ذلك انشاء الشعر ، وانشاده ، وتشطيره ، وتخميسه ، وتشجيره ، والحديث فيه على أوسع مدى وأفسح مجال . ولم يكن ذلك قاصرا على رجال الأدب وحدهم ، بل ينتظم في سمطه العلماء الأفاضل ، من كبار الرجال على مختلف طبقاتهم . وانما يجمعهم عقد نظيم ، هو هواية الأدب ، والشعر ، والظرف ، والتندر ، والفكاهة ، والدعابة ، في جو أدبي رائع ، فيه المثل العليا التي تكاد تؤلف سوقا أدبية ، شبيهة بسوق عكاظ على نطاق منزلي محدود . ومن تلك المنازل التي كانت عامرة بالأدب الرفيع منزل الشيخ ابراهيم الاسكوبي ، ومنزل الشيخ أنور عشقي ، والشيخ زكي برزنجي ، والسيد عبد الجليل براده ، والسيد عبد المحسن أسعد ، والشيخ ابراهيم برّي ، والشيخ سعد الدين براده ، وغير هؤلاء من أندادهم وأضرابهم من الرجال الذين كانوا يفتحون منازلهم في شكل منتديات أدبية ، يجري فيها تداول الأدب الرفيع في أجمل صوره ، وأبهى ألوانه ، وأجلى مظاهره الشائقة التي تجمع باقة ناضرة من أولئك الجلة الأكرمين ، من الرجال الذين صفت نفوسهم ، وخلت من هموم الحياة وأوضارها ومثالبها وشرها .

ربما كان الشعر أبرز موضوعات البحث والنقاش ، حيث يجري تناشد الأشعار ، فلا يلتئم المجلس أو ينفرط الا عن فائدة أدبية أو علمية ، يتناقلها الرواة فيما بعد ، ويتحدثون عنها في مجالسهم ومنتدياتهم اعجابا ورواية وتقديرا .

ومن الشعر الذي كان متداولا في تلك الأيام ، وربما بقي شيء منه الى اليوم ، قصيدة مشهورة ، سارت بذكرها الركبان ، بل الألسنة والألحان ، هي قصيدة الشاعر « المدني » ابن النحاس ، التي مطلعها قوله :

بات ساجي الطرف والشوق يلح
والدجى ان يمض جنح ، يأت جنح
وكأن الشرق باب للدجى
ما له غير طلوع الصبح ، فتح
لا تسل عن حال أرباب الهوى
يا ابن ودي ، ما لهذا الحال شرح
لست أشكو حال جفني والكرى
ان يكن بيني وبين النوم صلح
لا أذمّ العيس ، للعيس يد
في تلاقينا ، وللأسفار نجح
كم أداوي القلب ، قلّت حيلتي
كلما داويت جرحا ، سال جرح

وهناك قصيدة أخرى ، غنائية ، للشاعر نفسه كانت أناشيدها كألحان الحداة ، يترنم بها الرائح والغادي ، نغما وغناء ، منها :

رأى اللوم ، من كل الجهات فراعه
فلا تنكروا اعراضه وامتناعه
ولا تسألوه عن فؤادي ، فانني
علمت يقينا أنه قد أضاعه
ويا ليته قد كان من أول الهوى
اطاع عذولي ، واكتفينا نزاعه
أشاع الذي أغرى بنا ألسن العدى
وما خرب الدنيا سوى ما أشاعه
له الله ظبيا كل شيء يروعه
ويا ليت لي شيئا يزيل ارتياعه
ذرعت الفلا ، شرقا وغربا ، لأجله
وحيّرت أخفاف المطيّ ، ذراعه
فلم يبق بر ما طويت بساطه
ولم يبق بحر ، ما رفعت شراعه

الى آخر تلك الأبيات الرقيقة المصورة المعبرة .

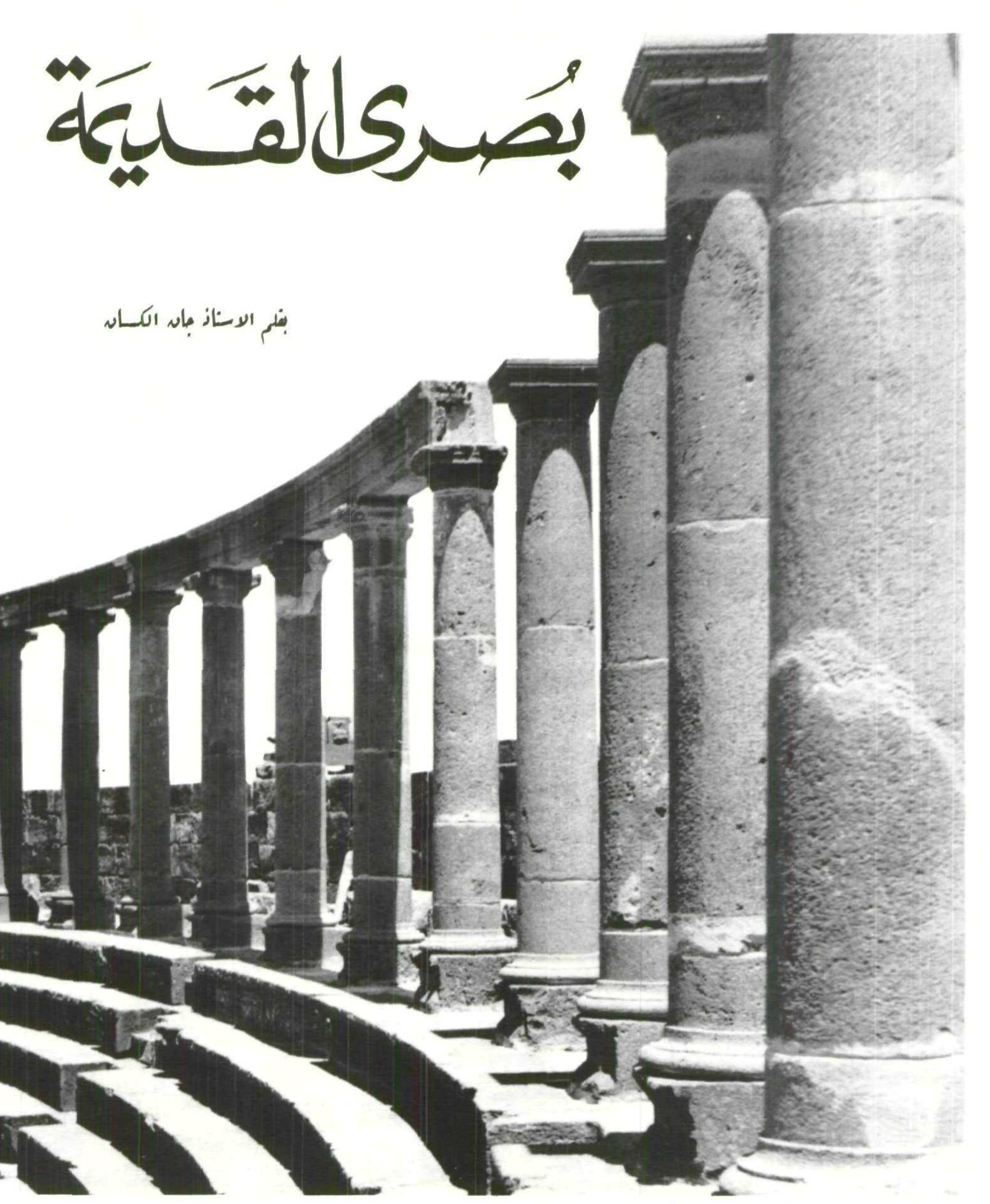
ولابن معتوق الشاعر ، عدد من القصائد ، وعديد من الأبيات ، كانت – وقد تكون باقية أيضا – في ألفاظ وأسماع المغنين ورواة الشعر ، وأشهرها قصيدته الغنائية التي مطلعها :

خفرت بسيف اللحظ ذمة مغفري
وفرت برمح القد درع تصبّري
وجلت لنا من تحت مسكة خالها
كافور فجر شق ليل العنبر
يا حامل السيف الصحيح اذا رنت
اياك ضربة جفنها المتكسّر
وتوقّ يا رب القناة الطعن ان
حملت عليك من القوام بأسمر
تالله ما ذكر العقيق ، وأهله
الا وأجراه الغرام ، بمحجري
يا للعشيرة من لمهجة ضيغم
كتمت منيته بمقلة جؤذر

الى آخر تلك المعاني الرقيقة الطريفة ، التي كان لها شأنها في اشاعة الطرب والسرور بين النفوس ، وكانت للمجالس عطرا بعد عروس ..

بصرى القديمة

بقلم الاستاذ جاك الكسان



القسم الأعلى من المسرح تزينه الأعمدة الضخمة التي أبدع المهندسون في نحتها وتشييدها .

يقول القلقشندي : « بُصرى مدينة أزلية .. » ذلك لأن هذه المدينة القائمة منذ ضحى التاريخ والتي جمعت ميزات العهود اليونانية والنبطية والرومانية والغسانية والبيزنطية وآثارها ، تأبى اليوم الا أن تنفض عنها ركام القرون ، وتعود لتروى لأبناء الجيل سيرة الأسلاف الذين شيدوا هذه المدينة العظيمة التي تميزت بأوابدها الحجرية وطراز بنائها على مدن العالم القديم جميعها .

لقد حقق كثيرون موضوع بُصرى ، ولكن المعلومات التي جمعت عن سكانها قبل العهد اليوناني ضئيلة ومشكوك فيها ، ولكن من الحق أن الساميين استوطنوا بلاد حوران منذ زمن قديم ، وتذكر التوراة أن بعض مدن حوران ، ولعل منها بصرى ، كان يسكنها العمالقة العرب .

بعد العهد اليوناني نزل الأنباط في بُصرى وازدهرت في زمنهم ازدهارا كبيرا اذ أصبحت مركزا مهما من مراكز التجارة والعمران ، وبعد عام (٧١ م) جعل الملك ربال الثاني النبطي من بصرى عاصمة لبلاده ، وبعد وفاته الحقت بالحكم الروماني وأصبحت حاضرة « الولاية العربية » وذلك منذ ربيع عام (١٠٦ م) . وفي ذلك العهد اتصلت بُصرى بالشمال والشرق والجنوب بشبكة من الطرق المعبدة لا يزال بعض أقسامها ظاهرا حتى الآن .

وبعد القرن الرابع الميلادي دخلت بُصرى في دائرة حكم الغساسنة ،وقبل الفتح العربي الاسلامي انتشرت المسيحية في بُصرى وحوران وأصبحت أسقفية بُصرى « بلاد العرب » في الدرجة الثالثة بين الأسقفيات .

وفي أول عهد الدعوة الاسلامية أخذ سكان بُصرى يتناقلون أحاديث الرسول وأخباره وأعماله وانتصاراته على المشركين ، وبذلك أحدثت أخبار الدعوة المحمدية انقلابا روحيا في نفوس سكان سورية لأنهم كانوا ينظرون الى عرب الحجاز كأخوة لهم ، ويشعرون أن الإسلام هو دين فطرتهم .

أما عن فتح بُصرى فهو مفصل في كتاب « فتوح الشام » ، وكانت بصرى آنذاك محطا وملتقى للقوافل ، حتى قال عنها خالد بن الوليد مخاطبا أحد قادة العرب « أما علمت أن هذه ميناء الشام والعراق ؟ »

وفي أيام الفاطميين والأيوبيين كان لبَصرى أهمية عسكرية ودينية ، وقد استعصت على الصليبيين ، وبعد الأيوبيين أخذ شأن بصرى في الاضمحلال .

أوابد بُصرى

يشبه تنظيم مدينة بصرى تخطيط المدن اليونانية والرومانية القديمة ، فأسوارها مستطيلة وأبوابها متقابلة ، وأشهر الأوابد فيها :

باب المدينة ، وقوس النصر ، والسقاية ، والكليبة ، والجامع العمري ، ودير الراهب بحيرى ، وجامع مبرك الناقة ، وبركة الحاج ، ومدرسة أبي الفداء، والباب ، والعمود النبطي ، والقلعة والمدرج .

باب المدينة

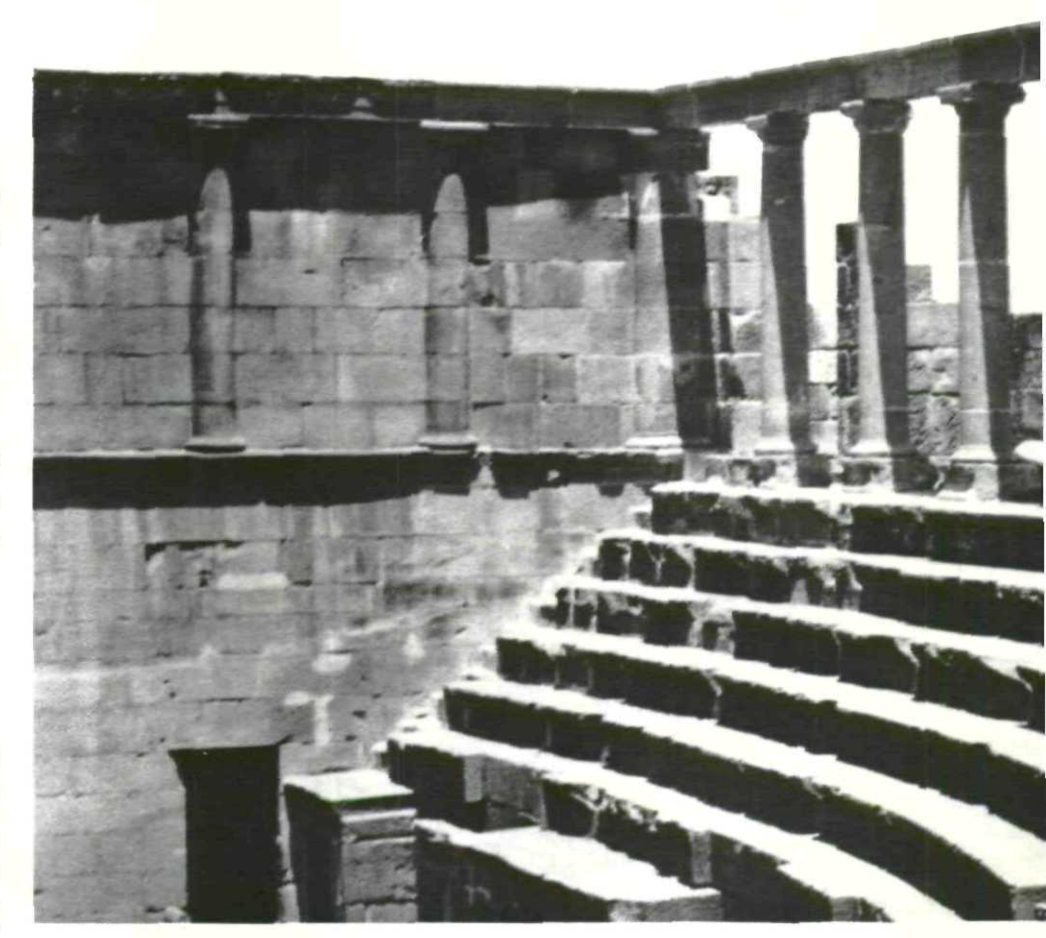
ويعود تاريخ بنائه الى القرن الثاني للميلاد ، وقد أعيد بناء قوسيه وواجهاته وفقا للمخططات والصور القديمة .

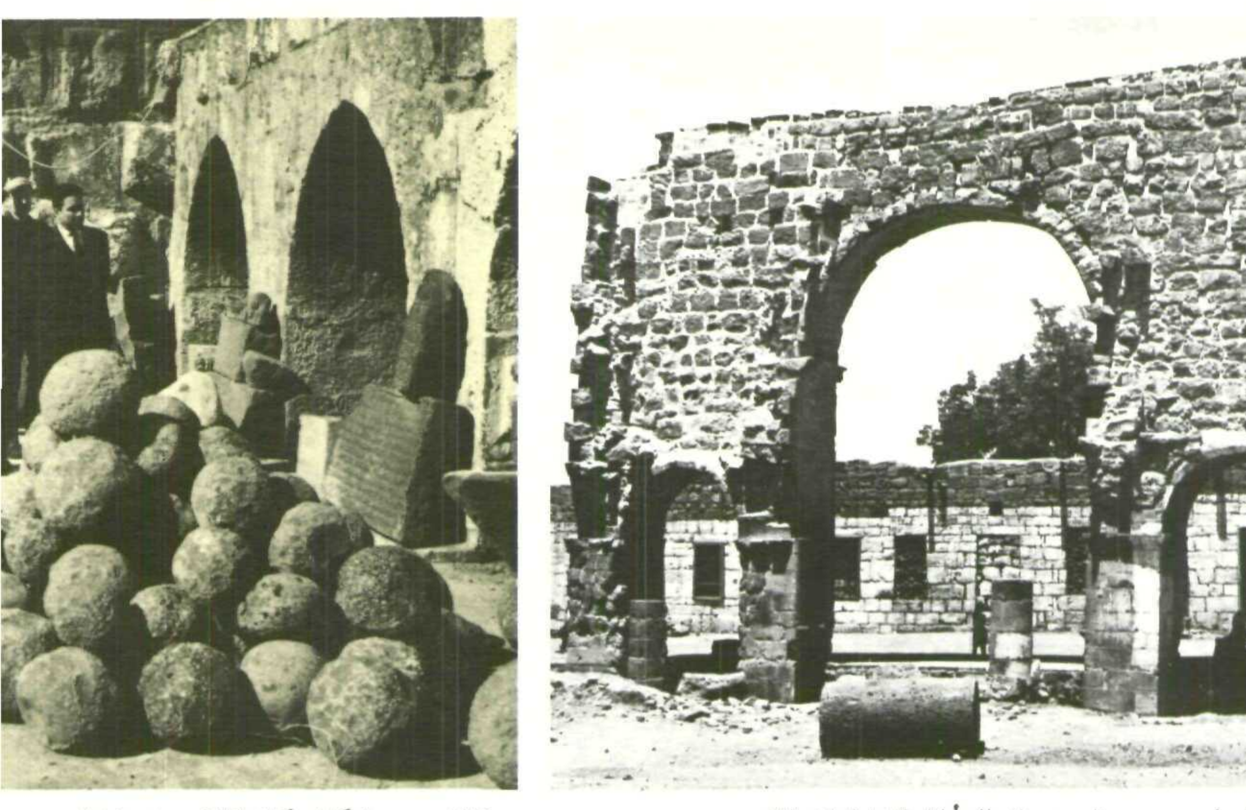
قوس النصر

ويسمى اليوم باب القنديل ويرجع تاريخ بنائه الى أوائل القرن الثالث الميلادي ، ويتألف من ثلاث أقواس أطولها القوس المتوسطة اذ يبلغ علوها ١٣ مترا .

السقاية

في شارع المدينة الرئيسي أربعة أعمدة من الطراز الكورنثي ، تقوم عند تقاطع الشارع مع الطريق المتجة نحو الجامع العمري ، وهي آخر ما بقي من واجهة بناء السقاية التي كانت تمد السابلة والسكان بالماء ، ويرجع تاريخ بنائها الى القرن الثاني الميلادي ، وهي مؤلفة من قسمين بينهما جدار يبلغ عرضه خمسة أمتار ،





قوس النصر ، أو باب القنديل ، ويرجع تاريخ بنائه الى أوائل القرن الثالث الميلادي .

قذائف حجرية كان سكان القلعة يستخدمونها في صد غزوات العدو في العصور السالفة .

منظر عام للقسم الرئيسي من المدرج الذي يجمع بين عظمة البناء وقوته ، ويقع في منتصف القلعة .

وارتفاعه مع القاعدة أربعة عشر مترا ، وقطره مائة وعشرين سنتيمترا .

الطيبة

وهو بناء ديني شيد في العهد الوثني ، ويطلق عادة اسم « الكليبة » على مثل هذا النوع من الأبنية ، ويتناقل أهالي بصرى أسطورة تقول ان أحد ملوك المدينة بنى هذا القصر المرتفع ليحفظ فيه ابنته الوحيدة من خطر الموت ، وكان الطعام يرفع اليها في السلة ، وفي احدى المرات رفعوا اليها العنب وكان بين العناقيد عقرب لسعها فماتت .

الجامع العمري

من أوائل المساجد التي بناها المسلمون أيام الخليفة عمر بن الخطاب ، وهو منسوب في تسميته اليه ، وله ثمانية أبواب تؤدي الى المساكن والأسواق ، وفي صدر المصلى آيات قرآنيـة وزخارف عربية تعود الى القرن الثاني عشر الميلادي

دير الراهب بحيرى

من أقدم أديرة المدينة ، ومن المرجح أنه بني في القرن الرابع الميلادي ، وهو يختلف في تفاصيله العمرانية عن الأديرة الأخرى الباقية في المدينة . وأجمل ما فيه قوس المذبح البيضوي الشكل ، ويروي البعض أن اجتماع الراهب بحيرى بالرسول العربي محمد عليه الصلاة والسلام قد تم في هذا المعبد . وفي شرقي الدير تظهر بقايا الكاتدرائية الشهيرة التي أسست عام (٥١٣ م) والتي كانت تعلوها قبة يبلغ قطرها ستة وثلاثين مـــترا .

جامع مبرك الناقة

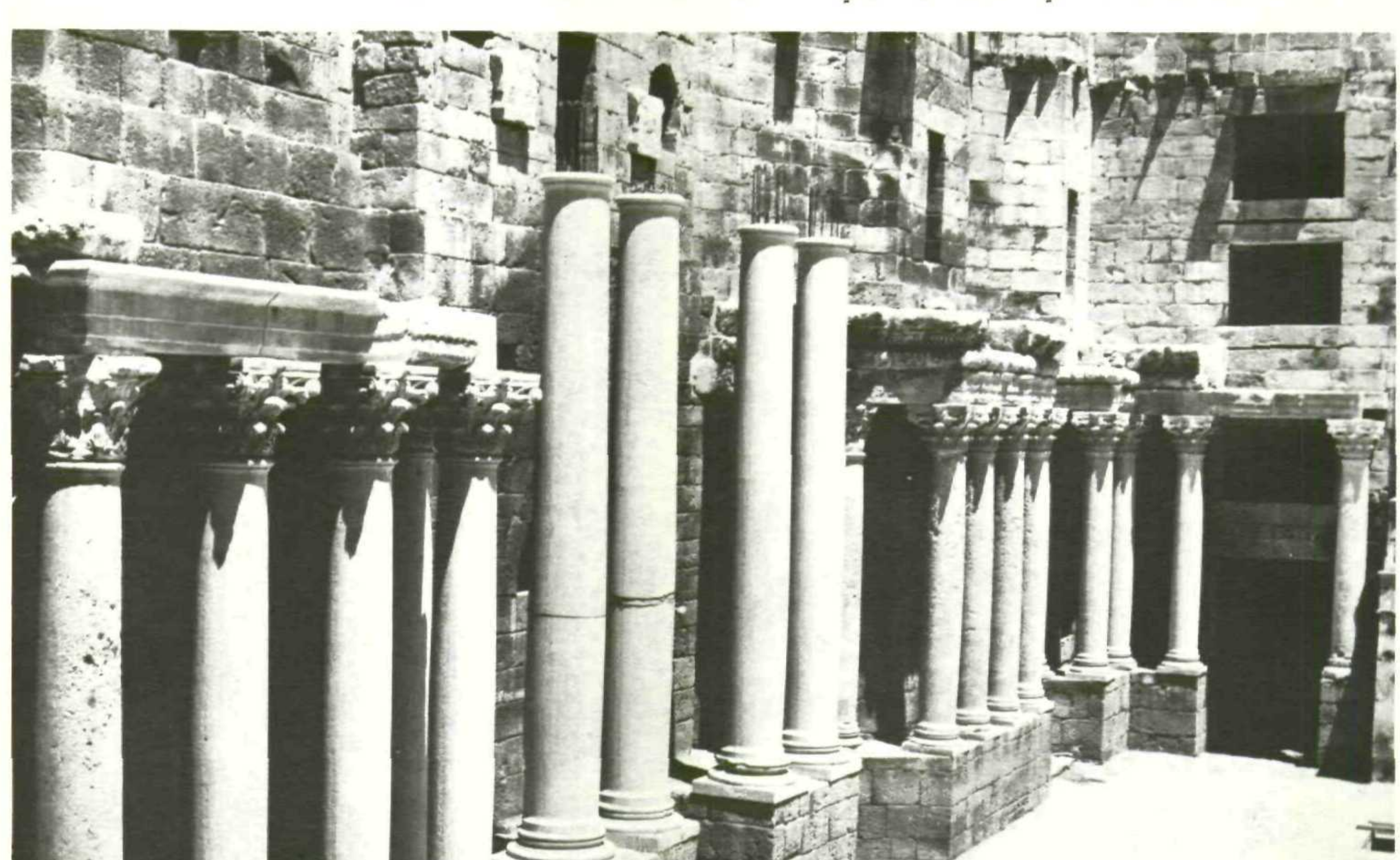
يقترن اسم هذا الجامع بذكريات تاريخية دينية اذ بركت فيه الناقة التي حملت أول نسخة من القرآن الكريم الى ديار الشام ، وتقول بعض الروايات أنه بني فوق الأرض التي نزل فيها الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما جاء الى بصرى . وبقي مدة طويلة مركزا ثقافيا يؤمه العلماء والفقهاء . وهناك مدرسة ملحقة به بناها « أبـو منصور الأتابكي » عام (٥٣٠ هـ) قال عنها البروفسور « سوفاجيه » انها المدرسة الوحيدة من نوعها في سوريا من حيث الطراز الهندسي والنسق المعمـــاري .

بركة الحاج

سميت بهذا الاسم لأنها كانت تزود قوافل الحجاج بالماء ويبلغ طول جدارها الشمالي ١٥٦ مترا ، وجدارها الشرقي ١٢٤ مترا ، وتصل اليها المياه من وادي الزيدي ، ويبلغ عمقها نحو ستة عشر مـــترا .

الباب والعمود النبطي

يعتبر فريدا في شكله ودليلا بارزا على حضارة العرب قبل العهد الروماني ، ويتألف من قوس ضخم له فتحة واحدة عريضة ، وتتناظر النقوش الظاهرة على واجهته مع زخارف البتراء .



جانب من الأروقة المنحوتة التي تشكل الجزء الخلفي من المسرح .

القلعة والمدرج

هي حصن أثري هائل ، لها أربعة عشر برجا بنيت في الفترة الواقعة بين عامي (٤٨١ و ٦٩٤ هـ) . وهي محاطة بخندق يعلوه جسر مؤلف من خمسة أقواس يتقدمها جسر من الخشب يرفع عند اللزوم . وأهم ما فيها المدرج وهو المسرح الوحيد من نوعه في العالم ، ويقع في منتصف القلعة ويجمع بين قوة البناء وعظمته ، وقد أعد لتمثيل الروايات واقامة الحفلات الدينية ، وقد أبدع مهندسوه في تشييده ونحت أعمدته ، ويصل ارتفاعه الى نحو ٢٠ مترا ، وتزيد مساحته على مساحة نصف دائرة قطرها ١٠٢ من الأمتار . وهو من المسارح القليلة التي لا تستند فيها المدرجات الى هضبات طبيعية ، وهو يستوعب أربعة عشر ألف متفرج ومقسوم الى ثلاثة أقسام يتوجها رواق مبني على الطراز الدوري ، ويفصل بين هذه الأقسام ممر عريض يشكل حاجزا يمنع اختلاط المتفرجين ببعضهم البعض ، أما عرضه فيبلغ ٤٥ مترا ونصف المتر من الداخل و ٥٤ مترا و ٣٥ سم من الخارج . ويضم منصة للتمثيل ومدخلا للعازفين وثلاث حنايا كبيرة تزينها الأعمدة والتيجان والأفاريز الكورنثية ، وهناك الممرات التي تشكل الكواليس وتفضي اليها أربعة أبواب كبيرة . ويشمل المسرح أيضا خمس شرفات في كل جانب من جوانبه كانت مخصصة للملك والحاشية . وقد كان العرب الأنباط يقيمون في مسرح بصرى أعيادا موسمية مرة كل أربع سنوات ، تشبه الى حد ما الألعاب الأولمبية اذ كانت الوفود والفرق الرياضية آنذاك تؤم المدينة من كل مكان . أما تاريخ بناء هذا المدرج فيعود الى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي .

لقد تم حتى الآن كشف جميع أجزاء المدرج وأصبح مهيأ لاحياء الحفلات والمهرجانات الفنية الكبيرة فيه ، وقد قامت بعض الفرق الموسيقية والفولكلورية فيه عدة حفلات .

هذا وتتجه النية الآن الى الكشف عن معالم مدينة بصرى القديمة وبعثها من ركام القرون خلال فترة لا تتجاوز الخمسة عشر عاما وذلك بعد أن يتم نقل سكان المدينة الى مكان آخر تمهيدا لبدء عمليات الكشف عن أجزاء هذه المدينة القديمة ومعالمها الأثرية .

وتعد بصرى (تدمر ثانية) ، وان الانسان ليذهل حين يرى في هذا الموقع الجاف صروحا حضارية يتمثل فيها أعلى مستوى عرفه فن البناء والهندسة المعمارية . ولهذا كان لا بد من اخراج هذه المدينة المندثرة وكشفها أمام علماء التاريخ والآثار .



بعد أن تم كشف جميع أجزاء المسرح ، أصبح مهيأ لاحياء الحفلات الشعبية والمهرجانات الفنية الكبيرة .

وردة بلا ربيع



للشاعر احمد قنديل

أنوار ، يا رأد الضحى
يا وردة بفم الربيع
نامت على أغصانها . . رفافة
تهوى الغروب . . ولا تحن الى الشروق
ظمآنة . . رجافة الشفتين . . يابسة العروق
حيرى . . تعيش بركنها . . في غصنها . . النائي البعيد
نشوى . . تلوذ بصمتها . . وبسرها
تجتاز مأساة الهوى
مر الفجيعة والنوى
ببقية . . تجترها من عمرها
من ذكريات في خشوع
تحيا بها أمل الرجوع .. الى حبيب لن يعود
وتبيت خافقة الضلوع . . تعيش ماضيها السعيد
فكأنها بين الورود الضاحكات . . بلا حدود
اللاعبات مع الشروق . . اللاهيات مع الغروب
في الغصن ذابلة مضت . . وسط الحقول
غريبة . . في صمتها . . في ركنها
في هجعة القلب الوحيد . . وطلعة اليوم الجديد
طيف من الماضي تسرب هائما
عبر الحقول الظامئات الى المياه
بين المصلى والمعابد . . خلف أستار الحياه

* * *

وكأنها دون القلوب الخافقات مع القلوب
في الناس غير الناس ماجوا في الدروب
في الدير . . راهبة . . مشت
تعلو الثرى بوشاحها
وتجر فضلة ذيلها . . رمزا الى أفراحها
يوما من الأيام . . غالته السنون . . تلطخت بجراحها

* * *

أنوار ، هذا الروض غنى . . راقصا نغم الهوى
بالحسن . . بات الحسن في أفيائه متجددا
للحب فيه مجددا في نفسه . . سبب الجوى
حتى يعيش الحب نهب الحسن . . متصل الحراك
في زقزقات الطير . . غنى لحنه وجرى هناك
للطير يلهو لاعبا . . أو ناقرا طرف الشجر
في جوفها بعض الثمر
والصائد المجهول يرمي . . دون علمهما الشباك
هذا
وأنت الوردة الظمأى . . يؤرقها السهر
وبروحها ظمأ وجوع
والغصن ناجى الغصن . . مال اليه قربه النسيم
زحف الأراكة للأراك
في الليل ، أرخى الستر . . يحلم بالصباح بفجره
في الفجر ، غطى نوره . . تلك البطاح بنوره
في وشوشات الماء . . سابق نهره ورعى القمر
في الزهر ، في أحلامه
في كل طرف في الهوى . . مستمتعا بغرامه
فيما ترين هنا . . هناك
فيما عداك اليوم . . ساجية اللواحظ والوطر
في النبت في أعراقه . . حول الغدير به القطيع
يثغو ويفترش النجيل
وبه الرعاة النافخون الناي . . في ظل النخيل
رقصوا تلفهمو الظلال . . تسابقت بين التلال
ولكل والهة سميع
إلاك أنت الوردة الحيرى . . تجاوزها الجميع !

* * *

يا وردة وسط الربيع . . بلا ربيع
عاشت على الذكرى البعيدة . . حيث غطاها الصقيع
في غصنها النائي البعيد . . ترنحت ، واستقبلت
قبل الخريف خريفها
وتنسمت ريح الشتاء المستبدة بالورود
فذوت هنالك وحدها
ولهي
تعيش بركنها . . آمالها وغرامها
ذكرى حبيب غائب . . لا لن يعود
ولن يعود
حتى يغطيها الصقيع . . وحيث يدفنها الجليد
وتبيت تستأني الربيع الحلو . . تسأله الرجوع
توابة . . تدعو دموع الأمس . . لا تجد الدموع !

علمتني الحياة

بقلم الاستاذ محمود ابو ريه

روضت سنة الحياة بأن أقذف بنفسي في خضم الحياة المتلاطم لأسبح فيه حتى أبلغ الساحل ، ويأتيني اليقين اذ ليس لي عش الا بين أمواجها . وهذا الخضم واسع فسيح ، فيه من المخلوقات ما لا يعلمه الا الله من انسان وحيوان ونبات . وهذا الانسان وحده تختلف طباع أفراده وتتباين مشاربه وأهواؤه ، ولا بد ان أراد أن يعيش معه من أن يتسلح بأسلحة الحياة حتى يستطيع أن يتخذ له سبيلا يسلكه في هدوء ودعــة .

وبعـد أن أخذت ما أتيح لي أخذه من العلوم ، وان كنت لما أفرغ من الدرس والتحصيل ، أنشأت أتلقى عن الحياة دروسها وتجاربها . فماذا علمتني الحياة من دروس ، وماذا أعطتني من عـبر ؟

لقد كان أول درس تعلمته من الحياة هو أن أستقوي بالله على مجابهة ما تطالعنا به من محن ، وأن ألتمس بالايمان سبيلا الى راحة الضمير وسكينة النفس ودعة الحياة . فالذي لا ريب فيه أن الناس جميعا ابتلوا في سانحة من سوانح العمر أوصابا تفوق طاقة البشر على احتمالها ، ويستعصي على المرء دفعها ، فلا بد اذن من الاعتصام بحبل الله ويقينه لمدافعة هذه الأرزاء ومغالبة هذه المصائب . والحمد لله أنني بعد كل ما نلته في عمري الذاهب ، ما زلت كبير الثقة بالله عز وجل ، أشكر لـه محامده ، وأحمد له صنائعه ، وأستعين به في جميع أموري .

أما الناس ، فقد عرفت منهم صنوفا وألوانا عزيز تنضيدها في تصانيف وتقاسيم ، لأن كلا منهـم متميز بخلاله ، مستقل بصفاته ، لا يتكرر مطابقة مع غيره . فقد عرفت من غلبت عليه شمائل الخير حتى شابه صورة الانسان المثالي ، وعرفت من غلبته مخايل الشر حتى تعوذت من ذميم صفاته . وعرفت بين هذا وذاك أمشاجا من أخلاق الناس ، رضيت عن بعضها وسخطت على بعضها الآخر ، ولكن الحياة علمتني أن أتخذ في معاملتي مع الناس ما يتلاءم مع كل حالة ، فألاين أهل الخير ، وأخاشن أهل الشر ، وأتوسط الأمر مع أهل الوسط .

وعلمتني الحياة أن الناس أذواق ومشارب وعقول ، وأن هذه الأذواق والمشارب والعقول لا تتطابق الا في القلة النادرة . فمن الناس جامع مال ، ومنهم طالب شهرة ، ومنهم آخذ علم ، ومنهم الزاهد ، ومنهم المفتون بمباهج الحياة ، ومنهم المفطور على العمل الانساني ، ومنهم الساعي الى الهزل ، وهلم جرا . وتلقاء هذا الخليط من المشارب والأذواق والعقول ، لا بد للمرء من أن يدرب نفسه على شكل من أشكال التكيف المقبول ما دام التعامل مع الناس أمرا لا مفر منه . أما اذا كان ثمة سبيل الى اجتناب التعامل مع من لا مهادنة بين أهوائه وأهوائي ، فانني أسلك تلك السبيل لأن البعد عن الأحمق من آيات الفطنــة .

وعلمتني الحياة أن خير ما يتسلح به المرء هـو أن يثابر على الدرس والبحث والاستقصاء من المهد الى اللحد . وكل علم ينفع ، وكل درس يعين المرء على خوض معمعان الحياة بمزيد من الثقة وكثير من حسن التقدير . ولا ضير من أن يكون العلم لوجه العلم وحده ، لا يبتغي المرء منه أنقابا ولا يكون تكأة الى مغنم مادي أو فائدة معجلة . وغير خاف أن العلوم في عصرنا الحالي قد شسعت أطرافها وبعدت وتنوعت . ومهما حصل المرء منها ، فقسطه لن يكون الا متواضعا جد التواضع . ولكن حسب المرء رضا أن يعيش في الحياة طلاعا الى مزيد من المعارف ، حانيا خطاه الى ينابيع العلم أيا كانت ، طالبا العلم ولو في الصين . ولا نقصد بالعلم معناه الضيق ، وانما نقصد معناه الواسع الرحيب الذي يتناول المعارف جميعا ، ويكون على الضد من لفظة « الجهـل » .

وعلمتني أن القيم الحقيقية لا بد أن تمكث في الأرض وتترعرع فروعها في السماء . فالمعاني الخلقية النبيلة جميعا ، من حق وعدل وانصاف ومرحمة وعطف ومعروف وما اليها ، قد يفتأت عليها في زمن أو في أزمنة ، ولكنها تظل محتفظة بجوهرها الأصيل معلنة عن نفسها في كل أوان ، تتجدد اشراقتها بعد ما تزول المحنة الطارئة . وقد عرفت في حياتي قيما أهدرت في ساعة نحس ، ولكن الله مد في عمري فرأيت تلك القيم تستعيد ألقها وبريقها بل سلطانها ، كما هو الظن بها . فلا يتزعزعن ايماننا بالقيم الرواسخ ، مهما اهتزت في أويقات عارضة ، ولنكن واثقين من أن الغلبة للحق مهما طال الأمـد .

وعلمتني الحياة أن ألتمس العذر وأصفح عنـد المقدرة . فالناس جميعا — وأنا معهم — يخطئون في ساعة غضب أو في فورة حماسة أو في حالة استفزاز ، واذا كنت أتوقع من الناس أن تعذر ما لا يروق لهم من تصرفاتي ، فلا أقل من أن أكون لهم عذيرا صفوحا . فالصفح من الشمائل الانسانية السامية التي يصح للمرء أن يتجمل بها ، يقابل ذلك أن ضبط النفس هو من الخصائص النبيلة التي يحق للناس أن تستوصي بها في مواقف الانفعال .

وعلمتني الحياة ألا آخذ الأمور بظاهرها البراق ، وألا أنظر الى الحياة نظرتي الى أمور مسلم بها لا تقبل جدلا . فمن صميم الصواب أن يعمل المرء على التغلغل الى الأعماق ليقف على الحقائق التي لا ترى بالعين المجردة ، ومن المحجة أن يناقش القضايا مناقشة تبصر وحكمة ، ليستخلص آراءه بعد الدرس والبحث والفحص وانعام النظر . فالحقيقة بنت البحث والاستقصاء ، والصواب هو ثمرة الموازنة الدقيقة بين جميع العوامل في غير تحيز أو هوى .

وعلمتني الحياة أن المرء قليل بنفسه كثير باخوانه، وأنه — مهما بلغ من شأو — لا يستغني عن المشورة السديدة والنصيحة الخالصة . ولذلك كنت في مراحل عمري المختلفة — وما زلت — أنشد المشورة وأسعى الى النصيحة لأستهدي بذلك في ما أنتهي اليه من قرار . ولا يشينني أن أكون التمست المشورة من أبنائي أو ممن هم في حكم الأبناء ، فالحكمة ليست حكرا على أحد ، والرأي السديد يمكن أن يكون في متناول كثرة من الناس .

وعلمتني الحياة ألا أتزمت أو أتعصب أو أغلو في العناد ، وأن أوسع صدري ما استطعت أمام ما يتنافر من آراء وما يتناثر من أقوال ، وأن أدرك أن الرأي لا يقرع الا بالرأي ، وأن الحجة لا تفل الا بالحجة ، وأن الحقيقة تنجلي بوجهها الباهر بعد مثل هذه المناظرة الحرة النظيفة الشريفة بين الآراء .

وعلمتني الحياة ألا أسارع الى المدح والثناء الطيب على من يأتي أمرا ظاهره صالح ، أو قام بعمل يبدو

نافعا . بل يجب أن ألتزم الأناة والتمهل حتى يتبين ما وراء ذلك ، اذ قد يكون الباعث على هذه الأفعال الظاهرة أمر خبيء أو غرض خفي يراد به الشهرة وحسن الأحدوثة أو مآرب أخرى .

وعلمتني الحياة أن المال يذهب ويجيء ، أما السيرة الطيبة فهي الارث المبارك الذي يتركه السلف للخلف ، ويتوارثه من بعدهم كل جيل آت . وصفوة ما علمتنيه الحياة بعد هذا العمر ، أن التسامح خير دواء يقوم بين الناس ، وأن حكم الآية القرآنية الكريمة « ادفع بالتي هي أحسن » يجب أن يسود ويعـم . وأن استعمال القوة الحمقاء ضد الغير ظلم لا يستقيم مع العدل والحق ، وخير من ذلك أن يتفاهم الناس بالحسنى ويتعاملوا بالانصاف . وأن أقوى رباط يربط الناس بعضهم ببعض هو التعاون على البر والتقوى وكل ما ينفع بني الانسان ، وأن يبتعدوا ما استطاعوا عن التعاون على الاثم والعدوان . وأن التفاؤل خير من التشاؤم ، والأمل خير مـن اليأس ، وصدق من قال « لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحيـاة » .

وأن الانسان لو استطاع أن يجعل من نفسه مصباحا ينير الطريق لمن حوله ، فانه يعتبر مـن خيـار الناس .

وأن الاعتماد على النفس والعمل هو دليـل الانسانية الحق ، اذ هو سر الحياة الذي يسري في كل كائن حي ، اذ تسيره القـوة الكامنة فيه من غير أن يدفعه أي دافع .

وكذلك علمتني الحياة أن الحياة على ما فيها من شر لا تخلو من خير لا يعييك أن تجده موفورا ، ولا يعز عليك أن تصيب منه أطرافا . وأن المحبة انسانية في جوهرها ، فاذا وقعت بين اثنين فلا تسل عن أسبابها ودوافعهـا .

كما علمتني الحياة أن من الناس من يأخذها على علاتها ، ولا يعترض على شيء فيها ، ومنهم مـن يحاسبها على كل ما لا يوافق هواه منها ، وقد يكون الأول أهنأ بالا وأصلح حالا من الآخر . وأن الصديق الوفي كالواحة الخضراء يتولى الى ظلهـا المكدود من هجير الحياة . فاحرص على انتقاء أصدقائك من هذا الطراز المجبول بالوفـاء .

وعلمتني الحياة أنه ليس كل ما يجمع الناس عليه يكون دائما صوابا أو حقا ، فقد يكون الصواب والحق أحيانا مع القلة . فليكن ديدنك أن تبحث عن الصواب حيثما كان ، وأن تكون مع الحق في كـل أوان .

هذا ذرو قليل مما علمتني الحياة وخرجت به من دروسها وعبرها ، لأن ما تعلمته منها وما أخذته عنها كثير حتى أصبحت بها ملما خبيرا .

ولا يفوتني أن أذكر أن كل هذا الذي تعلمته من الحياة هو في جانب مما حصلته من علم وأدب ، وذلك بأن التثقيف الذاتي لا يقف عند تحصيل العلم ودراسة الكتب واستيعاب ما في الأسفار ، وانما هـو التمرس بالحياة والأخذ عنها والتخرج في تجـاربهـا .



هَل من جَديد؟

حبال من ألياف الزجاج

من بين مواد البناء الحديثة التي شقت طريقها الى الأسواق مؤخرا نوع من الحبال مصنوع من ألياف الزجاج ، يعرف علميا باسم « غلاستران » (Glastran) . وقد صرح أحد المسؤولين لدى الشركة المنتجة لهذا الصنف من الحبال ، بأن هذا النوع الجديد يضاهي في متانته وقوة احتماله ، الأسلاك الفولاذية التقليدية المماثلة له في السمك : وهو ، فضلا عن ذلك ، أخف منها وزنا بنحو أربعة أمثال .

ومادة « غلاستران » التي يصنع منها هذا النوع الجديد من الحبال ، مصنوعة من ألياف زجاجية مشربة بصمغ لدن ، تنسج على شكل فتائل يجري جدلها كما تجدل فتائل أي حبل عادي . ومن ميزات هذا النوع الجديد من الحبال عدم قابليته للتآكل ، وقابليته العالية للشد والمط ، مما يؤكد رواجه وتنافسه الفعال لأنواع الحبال والأسلاك الفولاذية التقليدية الأخرى .

طريقة جديدة لتحديد قوة المعادن

من الأمور العلمية التي يحاول العلماء كشف النقاب عن غوامضها ، السر الكامن في تركيب المعادن . فهنالك أنواع من المعادن تصبح ، لدى طرقها أو ضغطها ، أكثر صلابة وقساوة ، في حين أن أنواعا أخرى تتكسر وتتطاير أجزاؤها .

ان هذا التصرف الغريب الكامن في المعادن ، لم يعد بالنسبة لرجال العلم ، أمرا مبهما . فمؤخرا توصل مهندسان في احدى الجامعات ، الى اكتشاف طريقة حديثة في هذا الشأن ، تقوم على استخدام مجهر ألكتروني لقياس الطاقة الباعثة على تماسك ذرات المعادن وتقديـر فعاليتها . فهذا الاكتشاف يمكن أن يكـون بمثابة حافز جديد على تطوير أنواع من المعادن أكثر قوة وأخف وزنا يصلح استخدامها في أغراض الفضاء .

وترتكز هذه الطريقة الجديدة ، بصورة جوهرية على أساس وجود مقدار معين من الطاقة المختزنة تحتفظ بها المعادن عادة أثناء الطرق . وهذه الطاقة الكامنة يمكن قياسها أو التنبؤ بمقدارها من خلال سلسلة من الحسابات والملاحظات المجهرية الالكترونية المعقدة .

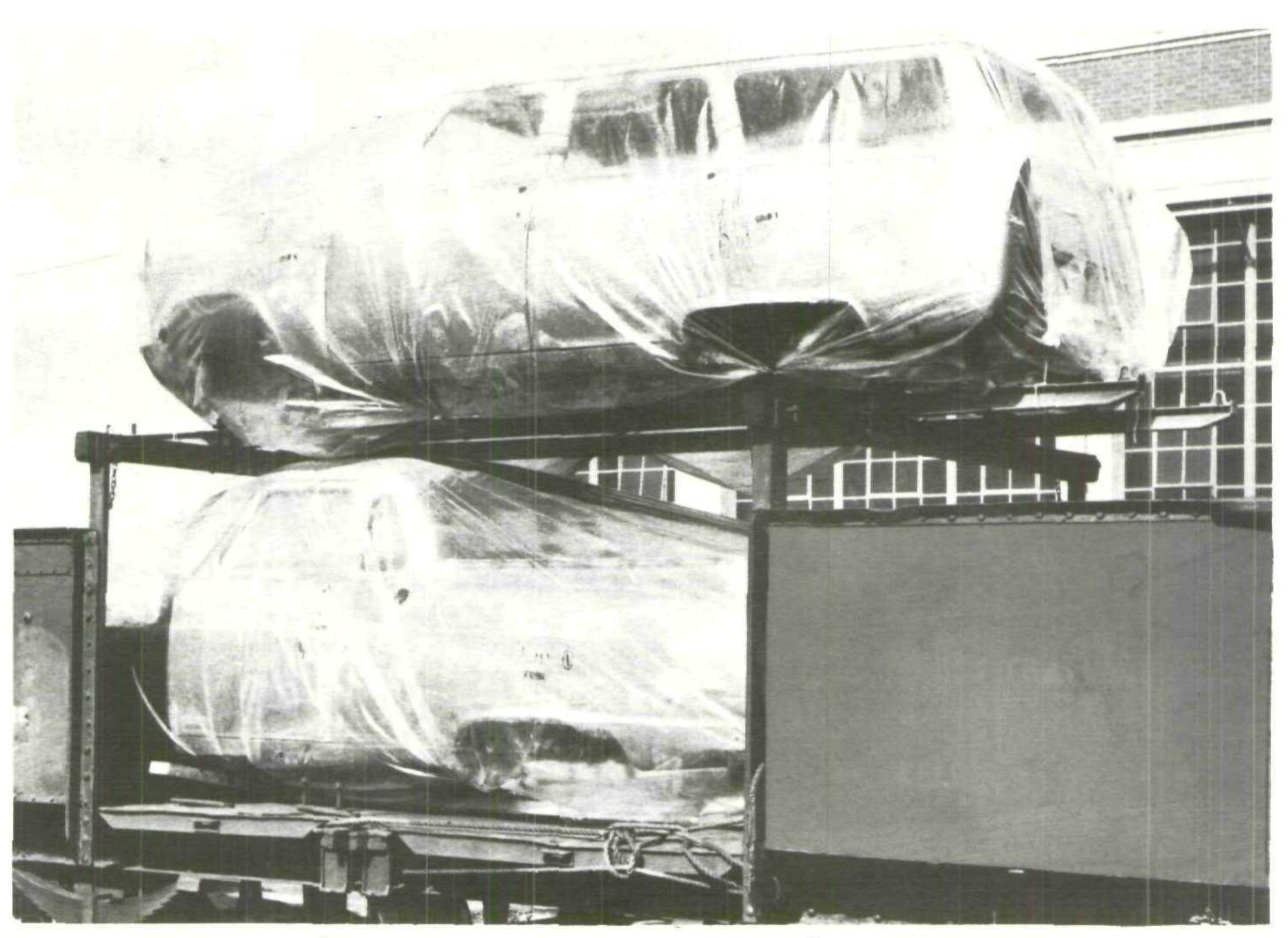
وقد أظهرت التجارب التي أجريت على بعض أنواع المعادن المطروقة ، أن هناك خطوطا أو شقوقا بلورية بارزة قد شوهدت في جوفها ، تشبه الى حد كبير الأسلاك المعدنية المتشابكة المستخدمة في صنع أقفاص الدجاج ، مما يجعلها أكثر قوة وتماسكا .

ان تحديد قوة المعادن ومدى الاستفادة منها ، يعتمدان ، على حد قول المهندسين صاحبي الاكتشاف ، على نسبة الطاقة اللازمة لتماسك هذه الخطوط أو الشقوق البلورية في أجوافها . فبقياس الزوايا الواقعة بين هذه البلوريات ، سوف يتسنى لرجال المعادن والمهندسين المختصين ، اكتشاف طرق أفضل لتقوية المعادن اصطناعيا ، وذلك ببذل كميات هائلة من الطاقة كأساليب الطرق بالمتفجرات أو الضغط المُسبق .

دور اللدائن

في تطوير صناعة التغليف واللف

تعتبر صناعة تغليف البضائع ولفها من أهم ما شملته التطورات التي طرأت على حياتنا اليومية بفضل ما أحرزته صناعة اللدائن (البلاستيك) من تقدم ونمو في السنوات الأخيرة ، وذلك لما تتميز به اللدائن من صفات القوة والخفة والملاءمة الصحية وسهولة التشكيل والتلوين وغيرها مما يجب توفره في أي مادة تستعمـــل لأغراض اللف والتغليف .



تغطى السيارات المصنوعة حديثا بأغطية من اللدائن قبيل نقلها ، وذلك لحمايتها من الرطوبة والغبار أثناء النقل .

كانت أعمال التغليف فيما مضى تقتصر على مجرد حفظ البضائع المعروضة للبيع ورزمها ، وكانت تستخدم لذلك غالبا ، أوراق اللف الصفراء أو أوراق الجرائد ، وفي بعـض الحالات أوعية يحضرها الزبائن من بيوتهم . ولكن تطور الأساليب التجارية ، وتعدد المتاجر التي يخدم فيها الزبون نفسه ، وتنوع أصناف البضائع غيرت طرق التغليف تلك وطورتها ، وأصبح كل ما يعرض في المتاجر مغلفا ومطبوعا عليه ما يوضح نوعه وسعره بشكل أنيق جذاب يلفت نظر الزبون ويدفعه الى الشراء . وقد صرح مساعد رئيس أحد معامل التغليف أن دراسة أجريت في هذا المجال ، أوضحت أن ثلث المستهلكين ينصرفون عن نوع ما من البضائع ، لأن نوعا مماثلا يجذبهم بأناقة غلافه وحسن تلوينـــه .

ظل الورق بأنواعه وصفائح الخشب ورقائق الزجاج و « السليكون » والقصدير ، لسنوات عديدة ، مواد تغليف أساسية ، وقد استطاع مصممو أغلفة البضائع الاستفادة منها الى أقصى الحدود . ثم تطورت صناعة التغليف بظهور أنواع أخرى من أوراق اللف ، ولا سيما الشفافة ، كأوراق « السوليفان » المستخرج من لب الشجر . ومع أن هذه المواد محدودة الاستعمال ، لأن لها صفات خاصة تحول دون استعمالها في أغراض متعددة ، الا أن كميات كبيرة منها تستعمل في هذا المجال . والآن أصبح لظهور اللدائن بميزاتها العديدة ، كقابليتها للتكيف حسب الشكل المرغوب وخفة وزنها وشفافيتها ، أثر كبير في توسيع صناعة التغليف وتطوير وسائلها وأساليبها .

مجال واسع لاستخدام اللدائن في أغراض اللف والتغليف

تحتل اللدائن اليوم مركزا ممتازا في صناعة التغليف في شتى أنحاء العالم . ففي الولايات المتحدة ، حيث نمت هذه الصناعة نموا ملحوظا ، يعتقد أن رطلا من كل ثمانية أرطال مما يصنع من البلاستيك يستعمل في أغراض اللف والتغليف . وقد حذت البلدان الأوروبية حذو الولايات المتحدة في هذا المضمار وفي استراليا - مثلا - تشكل اللدائن ١٢ في المائة مما يدخل في صناعة التغليف من مواد ، وتزداد هذه النسبة بمعدل ٢٠ في المائة سنويا .

ومن الجدير بالذكر أن صناعة الزيت ، كانت ولا تزال ، السبب المباشر لهذا الاطراد الملحوظ في صناعة اللدائن ، فهي تعتمد على ما تنتجه هذه الصناعة من مواد أيدروكربونية كانت سابقا تستخرج من خميرة الدبس ، التي يحصل عليها عند تكرير سكر القصب . ولهذه المركبات البتروكيماوية ميزة فريدة ، وهي أنها متوفرة بكميات كبيرة وبأسعار رخيصة . ومن هذه المواد تصنع اللدائن بأنواعها : كالايثلين الذي يمكن تحويله الى أوعية لدنه ضخمة ، أو الى رقائق يستفاد منها في أغراض مختلفة ، والبوليسترين والبوليثيلين والاستايت التي تصنع منها الأوعية المتينة أو الصلبة ، ورقائق



رقائق « البوليثيلين » ضرورية في كل مطبخ ، وذلك لانها تستخدم في أغراض منزلية متعددة .

السليولوز والبوليثيلين ، وهذه تعتبر من أهم خامات التغليف وأكثرها استعمالا .

وقد بدىء باستعمال رقائق السيليولوز استايت في لف الملابس وتغليف مستحضرات التجميل . كما استخدمت أكياس البوليستيرين لحفظ أنواع المربّى والعسل والقشدة وبعض العقاقير الطبية . ومن ميزات البوليستيرين أنه قابل للتلوين وغير سام ، ويمكن صنعه في أحجام مختلفة وبأسعار معقولة .

ولعل البوليثيلين ، القليل الكثافة ، من أكثر أصناف اللدائن شيوعا في أعمال اللف والتغليف ، لأن رقائقه شفافة وقوية ومتماسكة ، ولا ينفذ منها الماء . ومن خواص هذه الرقائق أنها غير سامة وقابلة للطباعة عليها ، ويمكن صنعها في أحجام وأشكال عديدة، كما أنها تسمح للأكسجين وثاني أكسيد الكربون بالنفاذ منها مما يساعد على حفظ المأكولات فيها لأوقات طويلة .

أما البوليثيلين ذو الكثافة العالية ، فإن له استعمالات أخرى متعددة لأنه مقاوم للحرارة والتفاعلات الكيماوية ، ولأنه خفيف الوزن متعدد الأصناف والألوان .

استعمالات البوليثيلين ذي الكثافة العالية

يستعمل كلوريد البوليفينيل ، وهو أحد مشتقات البوليثيلين ، في صنع القوارير اللدنة الصلبة الشفافة لحفظ الأطعمة ومحاليل التنظيف والمذيبات . ويعادل وزن القارورة المصنوعة منه ٢٠ في المئة من وزن قارورة مماثلة مصنوعة من الزجاج .

وفي أوروبا تستعمل رقائق البوليثيلين في تعليب الزبد والسمن النباتي بينما تستعمل رقائق البوليسترين في صناعة فتحات المغلفات ، الخاصة بالمراسلات التجارية (Window envelopes) . أما مادة البوليبرولين التي تتميز بشفافيتها التامة ، وعدم قابليتها للتقلص أو التمدد ، فتدخل في صنع المغلفات الصغيرة الأنيقة المستعملة في تغليف بعض أنواع البضائع والمواد الثمينة . وهي اقتصادية جدا ، اذ يعطي الرطل الواحد منها مساحة من الرقائق تفوق ما يعطيه وزن مماثل من أي مادة أخرى من اللدائن . ويستعمل النايلون الذي يمتاز بعدم تأثره بالحرارة المرتفعة ، وبقوته الفائقة ، وبمقاومته لرشح الزيوت أو الشحوم ، في الأغراض الطبية وبعض أغراض التغذيـــة .

ان الجزء الأكبر مما تنتجه مصانع اللدائن في العالم أجمع يستهلك في أغراض اللف والتغليف . ولكن هذا لا يعني بطلان استعمال مواد التغليف الأخرى ، اذ أن اللدائن تتضافر معها على تنمية هذه الصناعة وتطويرها . ففي كثير من الحالات تبطن صفائح المعدن أو الخشب باللدائن قبل حفظ المواد فيها ، وكثيرا أيضا ما تختم القوارير والأوعية الزجاجية بسدّادات مصنوعة من اللدائن .

هذا ، وقد ارتبطت صناعة اللدائن ارتباطا وثيقا بتكنولوجيا التغذية الحديثة كالتجميد ، والتجفيف ، والتعبئة ، والختم ، وغير ذلك من الأمور التي تستدعي استعمال المزيد من اللدائن. لذلك كثيرا ما نرى أن رقائق اللدائن المركبة ، وهي رقائق تصنع من طبقات متعددة من السليولوز والبوليبرولين والبوليثيلين وكلوريد البوليفينيل تستعمل ، بالاضافة الى مواد التغليف الأخرى كالورق وصفائح الخشب والورق المقوى ورقائق المعدن ،



صناديق مصنوعة من اللدائن تمتاز بخفة وزنها ، وهي مصنوعة من البوليثيلين ذي الكثافة العالية

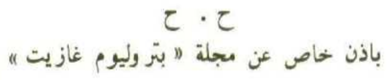


تصنع هذه الأوعية الضخمة من مسحوق البوليثيلين، وهي تستعمل لأغراض متعددة.

في مختلف أعمال تغليف البضائع ولفها . وتصنع هذه الرقائق بطريقة خاصة لتلائم ما ستحتويه من بضائع أو مواد غذائية أو غيرها ، كما توضع كل طبقة منها في مكانها المناسب لخدمة غرض معين . فالبوليثيلين – مثلا – يعطي الرقائق صفة القوة والتماسك . وقد تم أخيرا ايجاد أسلوب جديد لصناعة هذه الرقائق بحيث تبدو وكأنها صفيحة واحدة سميكة ، وذلك بتعريض طبقات اللدائن التي تتألف منها للضغط الشديد لفترات طويـــلة .

وقد تعدّت استعمالات اللدائن ما ورد ذكره الى مجالات أخرى ، كصنع أواني أدوات الجراحة . وقوارير المواد الكيماوية والأغلفة الداخلية لبراميل المواد الكاوية ، التي تستعمل في الصناعات الثقيلة . وأغطية فوهات مدافع السفن الحربية ، وغيرها من الاستعمالات التي لا حصر لها . ولعل أحدث ما أوجدته هذه الصناعة من استعمالات اللدائن ذلك النوع من الأوعية المعروضة في أسواق بريطانيا حاليا ، والتي تستعمل لحفظ مشتقات البترول ، وهي غير قابلة للإنفجار مما يجعلها من أكثر الأوعية ملاءمة لهذا الغرض . هذا بالاضافة الى أنواع معينة من الأكياس المصنوعة من أنسجة اللدائن ، والأوعية الخاصة بالسوائل الغازية المضغوطة كمصففات الشعر وغيرهـــا .

وما دام البحث العلمي مستمرا ، فإنه من المنتظر أن تظهر أشكال جديدة من اللدائن ، وبالتالي استعمالات جديدة لها ، ويعود الفضل في ذلك للزيت ، مصدر المواد الأولية اللازمة لصناعة اللدائن بشتى أشكالها وسائر أنواعهـــا .



ح . ح

باذن خاص عن مجلة « بترول يوم غازيت »

يعتمد على « البوليسترين » في صنع صناديق وأوعية شفافة غير قابلة للكسر تستعمل لحفظ الأدوية والعقاقير الطبيـــة .



الزمخشري

تأليف : الدكتور أحمد الحوفي
عرض وتعليق الأستاذ أبو طالب زيان

لا أدري – عليم الله – أيهما الزمخشري : محمود بن عمر بن أحمد ، أم أحمد ابن محمد بن الحوفي ، فكلاهما زمخشري عصره ، وعالم وقته ، ورائد فنون مختلفة من العلم والأدب والبيان .

والواقع أن الدكتور الحوفي ، يمضي في هذا الكتاب ، على سنته في التأريخ ، ونهجه في البحث ، فيحاول رسم الصورة الجسدية والنفسية والخلقية لبطله ، ويضعه بين يديه ، حتى لا يدع لغيره من البحاث ، ثغرة ينفذون منها ، أو حيلة يتحيّلون بها في الدراسة ، أو سندا من تلك الأسناد الهشة التي يتعلق بها بعض الدارسين والغاوين ، معاودة الدراسة ، أو تقليبها بغية التمام أو الكمال ..

تناول المؤلف الفاضل : خوارزم وموقعها ، ومكانتها بعد الفتح ، ووصفها في القديم ووصف المقدسي لها ، ووصف ياقوت وابن بطوطة ، وبعض مدنها ، ومدينة « زمخشر » على وجه أخص . ثم أعقب هذا بكلمة مفصلة عن خضوع تلك البلاد زمنا غير يسير للحكم العربي ، ثم خضوعها للدولة السامانية التي عنيت باللغة العربية الى جوار عنايتها باللغة الفارسية ، وخضوع البلاد بعد ذلك للدولة السلجوقية ، ثم للدولة الخوارزمية .

والذي يحمد للدكتور الحوفي ، أنه لم يفته في خلال هذا العرض التاريخي ، من استكناه حقائق هذا التاريخ ، أن يذكر السلاطين الذين أدركهم الزمخشري ، ولا الآثار الجليلة التي خلفها الوزير « نظام الملك » في تشجيع العلوم والآداب . والواقع أنه : « ما كادت خراسان وخوارزم وما وراء النهر وغيرها ، تخضع للحكم الغربي حتى جعلت تستعرب ، وتكاثرت فيها بذور اللغة العربية والأدب والعلوم الإسلامية ، وسرعان ما نبتت وبسقت فروعها ، وأينعت ثمارها » .

فلا غرابة أن كثر العلماء والأدباء ، وكثرت المدارس ، وجدّ العلماء والمؤلفون والمدرسون في التعليم والتثقيف والتأليف ، وعلا شأن المكتبات ، وحرص الحكام على مجاراة الركب المتقدم بتقريب الشعراء ، وتشجيع الحركة الفكرية ، مباهين جيرانهم من السلاجقة ، ومنافسين سلفهم بحسن الأحدوثة وبعد الصيت والهيبة .

ولقد خص الدكتور الحوفي : خوارزم بفصل من هذا الكتاب ، تناول فيه الأدباء والعلماء الذين أثروا الأدب ، وأثرّوا في العلم ، وأنتجوا بالعربية والفارسية ، وطريقة التأليف والمذاهب التي سادت فيما حول هذا الاقليم ، وغلبة بعض المذاهب على بعض ، وموقف خوارزم من الحياة العلمية والأدبية .

ولد الزمخشري بزمخشر ، وكان مولده في أزهى الفترات التي نهضت فيها الآداب والعلوم ، ثم رحل يطلب العلم الذي يطمح اليه ، وعيّن نفسه به بالمكانة المرموقة والمناصب العالية ، يساعده على ذلك ، ذكاء لمّاح ، وتطلّع واسع ، وارتقاب الى ما تسفر عنه تلك الحياة الجادة التي عاشها الزمخشري في مطلع حياته ، وابان نشأته وصباه .. ولكن هل نال ما كان يحلم به ، وتبوأ ما كان يتوق اليه ؟؟

يحدثنا المؤلف الفاضل : أن الزمخشري ، لم يصل كغيره الى المكانة التي كان يجدّ لها .. ويسوق دليلا على خيبة مسعاه ، قصيدته التي كتبها الى الوزير نظام الملك ، يصوّر فيها ضيق نفسه ، وبرمه بعلمه وفضله وكفايته ، التي لم تبوئه المكان الرفيع الذي يستحقه . على أن الدكتور الحوفي لم يثبت القصيدة كلها ، واكتفى ببعض منها ، وان كان قد أتى على ما يريد من تصوير نفس الزمخشري ، وتعاسته ، وعتابه لنظام الملك ، والسبب في عدم التفاته اليه ، ورحيله الى خراسان ، واتصاله بالملوك ، وخيبة رجائه فيهم ، وتوبته عن المديح ، واتجاهه الى مكة مشوقا راجيا الصفح من ربه على ما فرط منه ، معتزما الاقامة بها .

غير أن هذه الاقامة الى جوار بيت الله لم تدم طويلا ، فعاوده الحنين الى وطنه ، الذي تحسّر في الرجوع اليه ، فعزم على الرحيل مرة أخرى الى بلد الله ، وفي منطلقه اليها ، يعرج على الشام ويمدح تاج الملوك « بوري طغتكين » صاحب دمشق ، وابنه « شمس الملك » ، الا أنه كان مدحا خالصا لله ، ثم يمضي الى مكة ويعكف على تفسيره « الكشاف » .

ولكن هل دامت هذه الاقامة بالزمخشري الى آخر عمره ؟؟ اللّهم لا .. فقد عاوده الشوق ، وبرح به الحنين الى وطنه ، فسافر الى خوارزم وعرج على بغداد ، ثم أقام ببلده الى أن حم به القضاء ، وانتقل الى جوار الله عام سبعة وثلاثين وخمسمائة من الهجرة ، لا كما انتهى اليه المؤلف من أنه العام الثامن والثلاثون بعد الخمسمائة على وجه لا يحمل النقاش فيه .

ومما يزيد في نفع هذه الدراسة ، ويعظم أثر نفاستها ، أن المؤلف قد أورد أساتذة الزمخشري ، وترجم لكل منهم من باب التعريف بفضله ، ومركزه على وجه خاص في حياة صاحبه . فقد كان أستاذه محمود به جرير الأصفهاني ، فريد عصره ، ووحيد دهره في علم اللغة والنحو ، يضرب به المثل في أنواع الفضائل . كذلك سمع الحديث من شيخ الاسلام أبي منصور نصر الحارثي ، ومن أبي سعد الشقاني ، ومن أبي الخطاب بن أبي البطر ، وأخذ الأدب عن أبي علي الحسن بن المظفر النيسابوري ، ورحل الى بخارى ليستزيد من مناهل علمائها ، واجتمع في بغداد بالفقيه الحنفي الدامغاني ، وبالشريف ابن الشجري ، وزار أبا منصور ابن الجواليقي ، وقرأ عليه بعض كتب اللغة من فواتحها ومستجيزا لها ، وقرأ في مكة كتاب سيبويه وان كنت أخالف الدكتور المؤلف في أن الزمخشري قد جلس جلسة التلميذ ، قبل أن يودع الحياة بخمس سنين ، وهو الرجل المعتز بعلمه ، الذي يرى أنه مهضوم الحق ، مهيض الجناح في المنصب ، مسلوب المقام في الوظيفة .. وكيف يرى من هذه حاله ، وذلك عقله وتطلعه ، أن يعرف عنه أنه تتلمذ وقد بلغ السادسة والستين من عمره ، وبلغ شأوا بعيدا في العلم ، وصيتا لا يعدله صيت في ضروب الكلام ، ومختلف أفانين القول .!!

وحين كان هذا حاله في العلم ، ومركزه بين أقرانه ، فلا يمكن أن يحصى عدد تلاميذه ، أو يحصر الذين تتلمذوا عليه ، وان كان المؤلف قد أحصاهم ، وعدد أسماءهم وحصرهم فيما دون العشرين . وان ناقض هذا ما قاله المؤلف نفسه في مقدمة الفصل الخاص بهؤلاء التلاميذ .. فقد قال القفطي : « ما دخل الزمخشري خراسان وورد العراق ، أو دخل أي بلد الا اجتمع الناس عليه ، وتتلمذوا له ، واستفادوا منه » .

ويقول القفطي كذلك : « انه أقام بخوارزم تضرب اليه أكباد الابل ، وتحط بفنائه رحال الرجال ، وتحدى باسمه مطايا الآمال » .

ولقد أتى الدكتور الحوفي بثبت لمؤلفات الزمخشري ، وقسمه عدة أقسام : العلوم الدينية ، واللغة ، والنحو ، والعروض ، والأدب ، وهي في مجموعها سبعة وأربعون كتابا ، لا يعرف أكثرها ، أو لم تطبع ، أو لم يشتهر أمرها ، كما اشتهرت كتبه المعروفة المتداولة .

وليس من شك في أن التحديد الذي التزم به الدكتور الحوفي في ايراد هذه الكتب ، والثبت الذي أخذ نفسه به ، لم يكن من الحكمة أو من النصفة في هذا التأريخ والعرض ، فما لم يطبع هنا قد طبع هناك ، وما لم يتداول في بلد ، تداول في بلد اخر ، وما نحبّ لونه من ألوان المعرفة ، يرفضه أناس آخرون ، والعكس هو القاعدة التي تسود دائما في العرف والبلاد المتباينة ، فإذا قلت مثلا : ان كتاب « شقائق النعمان في حقائق النعمان » لم يعرف في مصر ، فليس معنى هذا أنه لم يعرف في العراق أو الحجاز ، فهو في مناقب أبي حنيفة ، وغير معقول ألا يعرف أهل الحجاز مناقب هذا الامام الأكبر ، ولا أهل العراق كذلك !

وقد يطبع الكتاب طبعة واحدة بنسخ قليلة ، وتنفد هذه النسخ في وقت قصير ، ويكاد يقضى على الكتاب ، ثم يستبين أن هذه النسخ نقلت جميعها أو أكثرها الى بلد آخر ، يحرص على اقتناء هذا الكتاب ، أو يحب أن يستأثر به كما فعل بكتاب : « أعجب العجب في شرح لامية العرب » للزمخشري ، فقد رأيت نسخة مطبوعة بالقسطنطينية في مكتبة الشاعر الراحل السيد «حسن القاياتي» منذعشرين عاما ، أهداها اياه طالب في الأزهر كان قد جلبها معه في احدى روحاته الى تلك البلاد ، وان كنت قد سمعت أن هذا الكتاب قد طبع بالقاهرة طبعة أخرى ، ولكن أين هو وفي أي عهد ، وفي أي مطبعة ، الا أن يكون كما ذكر المؤلف بالقاهرة ؟

سبب واحد في رأيي ، هو الذي جعل الدكتور الحوفي يذكر جلّ كتب الزمخشري ويعقّب عليها بأنها غير معروفة ، هو صعوبة الوقوف عند كل كتاب والتعريف به ، أو عدم الحصول عليه ، وهو يهم بتحضير مادة هذا الكتاب .

على أن نجاح الدكتور الحوفي في تصوير الزمخشري ، والالمام بمكوناته ، قد جعلته ينحاز على قدر وجيز نحو بطله ، فهو يناقش صفاته الجسدية وثقافته ، واعتزاله ، وعزة نفسه ، وموقف الزمخشري بين الطموح والقناعة ، وتدينه ، وتواضعه ، وحبه للعرب والعروبة ، وقسوته على مخالفيه ، وعزوبته . ثم يقف وقفة طويلة في رحاب التفسير والتأويل ، والباعث على تأليف « الكشاف » وبعض من نقل عنهم الزمخشري ، ويعرّف بالاعتدال ، وأصول هذا المذهب ، ويعرض لكثير من تفاسير بعض الآيات ، ويناقش في فطنة رأي هذا العالم وموقفه من هذه الفرق كلها .. كما لم يفت المؤلف أن يناقش العدل في رأي المعتزلة ، وحرية العباد ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

واستكمالا لهذه الدراسة الماتعة ، لم يفت الدكتور الحوفي ، أن يثبت أثر الزمخشري في ميدان النحو ، واللغة ، والشعر ، والبلاغة ، والنقد ، وسبقه الى تقسيم البلاغة الى بيان ومعان وبديع . ولقد أرجع المؤلف تبريز الزمخشري في هذه الفنون جميعا . الى مرونته على الجدل والمحاجة ، وقدرته على التعبير عما يختلج داخل نفسه ، وغيرته على الاسلام .

وليس من شك في أن تحليل آثار الزمخشري في هذا الكتاب ، لمما يزيد في نفعه ، ويضعه في موضعه الذي يحب صاحبه أن يضعه فيه : فللزمخشري آثار نفيسة ، تسمو على آثار من عاصروه من العلماء أو شافهوه من الأدباء ، هي أولى بالدراسة ، وأقمن بالوقوف عندها . « فالكشاف » موسوعة في التفسير ، حافلة بموضوعات كثيرة في النحو والبلاغة والأدب والفقة والقراءات وما يتصل بها من تعليل وتمحيص وتدليل . « وأساس البلاغة » ، معجم لغوي ، جمع المفردات ومعانيها الحقيقية والمجازية ، وكثيرا من النصوص البليغة التي وردت فيها ، وذلك غير كتبه في الأدب والبلاغة والنقد والأمثال والمقامات والحديث والنحو .

على أن الدكتور الحوفي ، قد عالج كل هذه الآثار ، ووقف وقفة العالم المتثبّت ، أمام كل ما عثرت عليه يده ، في حيدة تامة ، ومناقشة أصيلة ، وتضلّع فيما كان يبديه من رأي ، أو يستعرضه من بيان .

ولو لم يسبق بعض الأدباء من دراسة الزمخشري في كتب محدودة الاتجاه ، لقلت : ان هذا أول كتاب يجمع الزمخشري ، متكاملا ، ويدرسه مجتمعا ، ويقف بعلمه الواسع ، أمام من يريد التأسي ، أو يحب الاعتراف من هذا النبع .

واني لأرجو أن يوفق الله الدكتور الحوفي الى الحصول على بعض كتب الزمخشري المفقودة ، وتتاح له فرصة تحليلها والكشف عما بها من كنوز ، ويومئذ ، يعاد طبع هذا الكتاب ، كموسوعة كبرى ، تضم كل ما ترك الزمخشري في العلم والأدب وسائر الفنون .

سُمّار الظلام

بقلم الاستاذ عبد المعطي المسيري

أرخى الليل سدوله على القهوة فغرقت في الصمت والظلام ، وأخذت صفوف المقاعد تنصت في اطراق واهتمام الى المرآة التي انطلقت في الحديث عما وقع لها أثناء النهار والليل ... عن الوجوه التي تطلعت اليها مشرقة مستبشرة ، والوجوه التي ارتسم عليها الفضول أو التقطيب ، وعن العيون التي صوبت اليها نظرات مختلفة تنطوي على معان شتى من التمني والرجاء ، والخبث والرياء ، وعن الشفاه التي تنقلب بين المط والزم والتبسم لتتخير كل منها النحو الذي يكفل لها حسن الوقع والتأثير .

وختمت المرآة حديثها متسائلة : ماذا لو نكاشف الناس ؟ أو لو رزقوا القدرة على قراءة النفوس دون أن تضللهم الوجوه !؟ . وعندئذ ردت عليها الساعة : « ماذا ؟ كنت تفقدين يا عزيزتي سلطانك ، اذ لا يعود الناس عندئذ بحاجة اليك » . وكانت قد اكتملت دورتها فشرعت تدق . تن . تن . تن ... ثم عادت في وقار الى سيرها البطيء ، ووسوستها الخافتة تحصي بها على الزمن أنفاسه ! !

وكان في أقصى الشمال مقعد هرم تتهالك أجزاؤه ، ولكنه يتماسك خجلا من زملائه ، واشفاقا على نفسه من سخريتهم خاصة بعد أن سمع همس المائدة للمقعد الشاب زميله : « يريد أن يأخذ زمنه وزمن غيره ! »

وكان قد مضى على المقعد العجوز عهد بعيد وهو في مكانه لا تلمسه يد الا وتدعه متجاوزة الى غيره . لقد ضنت عليه القهوة بالترميم عندما عبثت به يد البلى ، وساقته الى هذا المنفى في أقصى الشمال حيث تخيم الظلمة ليلا ونهارا . فقبع يصارع ما يلحّ عليه من وهن بما يذكره من أيام عهده بالحياة الصاخبة ، الى أن كان مساء تلك الليلة اذ آثره أحد الرواد فاختاره للجلوس عليه .

جاء الرجل بعد الغروب فتبارت المقاعد في التطلع والتبسم والترحيب لاغرائه ، ولكنه صدف عنها جميعا ، واقتحم الركن المنبوذ ثم اتجه اليه منحيا عن طريقه تلك المقاعد ، ومد يده فأمسك بالمقعد القديم الذي كان يرقص فرحا وخجلا .

وجلس الرجل برفق حيث أدرك وهن عظام المقعد . وتماسك المقعد وحبس أنفاسه ليتيح لصاحبه ما يبغيه من دقة التفكير والتأمل ، فقد عرف من شرود نظراته وانطوائه على نفسه أنه من الشعراء .

وطالت صحبتهما فلم يفترقا الا عندما لم يعد من ذلك بد عند انتهاء السهرة وعودة الرواد الى بيوتهم .

وهكذا قدر للمقعد الحزين أن يقضي ليلة ممتعة ردت اليه اعتباره ، فلم تزدره أعين المقاعد وقت ان جاء دوره في الكلام ولم ينكس رأسه ليتجاوزه الدور الى المقعد الذي يليه كالعادة ، بل مال برأسه الى الوراء في تؤدة ووقار وقال : زملائي الأعزاء . عندئذ حدثت همهمة من المقاعد والموائد ، وصاح بعضها : « ماذا جرى يا صديقنا ؟ أنت ستخطب ! أتريد أن تستأثر الليلة بالحديث وحدك ؟ » .

مهلا أيها الأخوان . فسأحدثكم حديثا جديدا .. ان كل ما نفتأ نردده معاد لا لذة فيه . ولنا العذر فقهوتنا يتردد اليها العلم والجهل ، والغنى والفقر ، والحب والبغض ، وما الى ذلك مما تحدثنا عنه حتى سئمناه ، وقد كان خليقا بنا أن نلوذ بالصمت الى أن يحدث ما يستحق الذكر . ولكن للأسف قد سرت الينا عدوى الثرثرة من سادتنا الرواد — .

وعندئذ صاح أحد المقاعد الشابة : « ما تخلصنا يا بابا ! ! ماذا تريد أن تقول ؟ . »

ورد عليه آخر : « من نفسه يا أخي ! منذ شهور عديدة لم يتكلم فدعه يدردش . »

ودق جرس « البوفيه » داعيا الى الهدوء والصمت وترك الفرصة للمقعد حتى يفرغ من الكلام ، فعاد المقعد الى الحديث : « الآن يا زملائي الأعزاء لأول مرة أحدثكم عن الشعر . وطبيعي أن قولي لأول مرة ربما أغضب الكثير من الزملاء الذين يعتقدون أنهم من الشعراء . ولكن أرجو أن تهونوا على أنفسكم ، وأن ترجئوا همسكم ولغطكم فستعلمون أن ما جال بخاطر شاعري الذي سعدت به هذا المساء لم يكن شعرا من الطراز الذي ألفناه ، بل كان فنا رائعا ، أتمنى لو يتاح لكم نقله الى رجال الفن ، لعلهم يتأثرون بمعانيه واتجاهاته . »

الى هنا كان الضجر قد جاوز المقاعد الى الموائد ، وقد خشيت أن يسترسل المقعد في الكلام فيدركها الصباح قبل أن تشترك في السمر فقاطعته احداها : « سلامتك أيها العزيز . أكبر الظن ان الأيام قد احوجت سمعك الى ترجمان . الا تذكر اننا اتفقنا منذ مدة طويلة على اغفال الكلام عن الفن ،

حيث انتهينا الى الحكم بأن لا نفع ولا رجاء منه ، ولذلك كنا أحسن ادراكا لحقائق الأمور من الآدميين ؟ »

قال المقعد : « كيف كان ذلك ؟ ومتى ؟ »

فضجت المقاعد والموائد بالضحك وعادت المائدة الى الحديث : « في ليلة عاصفة كنا نسمر كالعادة ودار حديثنا حول الفن ، استغفر الله ، بل حول أسبابه ونتائجه ، فألفينا الناس قد أجمعوا على أن الفن يساعد على تخفيف ثقل الحياة عن البشرية ويحبب اليها الحق والخير والجمال ، ويسير بها بل يدفعها نحو السلام والمحبة والكمال الى آخر القائمة . ثم بحثنا في هذا فوجدناه من الأوهام والأباطيل . فالناس منذ الأزل وما زالوا يصنعون الفن أو يلهمونه على حد تعبيرهم منذ عهد افلاطون الى الآن والى ما شاء الله . ومع ذلك فالبشرية لم تتأثر به ، بل على النقيض كلما ازدهر الفن وشاع ، أمعنت في الشر ، وتفننت في الايذاء ، وأسرفت في الأنانية . وانتهينا أيضا الى أن الفن مرض وبيل يصيب بعض الناس . ومصيبة هذا المرض أن صاحبه يجد فيه متعة فلا يسعى الى الشفاء منه ، بل يشيد بفضله ويتخذه قناعا يوارى به ضعفه موهما الناس وموهما نفسه أنه من العباقرة . ثم يسير في آخر القافلة يجتر آلامه وأمراضه ، ويدفعه الى ذلك دافع الشهرة والأمل في بقاء اسمه من بعده . من أجل هذا وغيره قررنا غض النظر عنه وعن المصابين به » .

سكتت المائدة فالتفت المقعد الحزين الى المقاعد المجاورة وسألها : « أحقا ما تدعيه هذه المائدة ؟ » .

فأجاب بعضها : « حقا ! وهل يحتاج الى سؤال ؟ أكبر الظن أنك كنت آنذاك في ورشة التصليح . »

المصباح : « لقد مست المائدة الموضوع من جانب واحد ، ولعلها تكون مقنعة أكثر لو أشارت الى خطورة الفن في التضليل ، فمنذ كان الفن وهو عرضة للاستغلال من قبل بعض الأفراد لمصالحهم الخاصة . فلكي يكون للفن دوره المزعوم قررنا الاقلاع عن الحديث عنه . »

عندئذ ملك التأثر المقعد فوجه الكلام بعنف الى الجميع : « لست أستطيع أن أتصور كيف نحتمل الدنيا بلا فن !؟ » .

فرد عليه مقعد شاب : « وما الذي يمسك بك ؟ هكذا ستكون دنيانا فان كانت لا تعجبك ، فارحل رافقتك السلامة » .

واستدركت المائدة : « أجل ، ارحل عنها أيها الزميل لتنعم بمعاشرة أفلاطون وأرسطو ورفائيل وبتهوفن وشكسبير وغيرهم . »

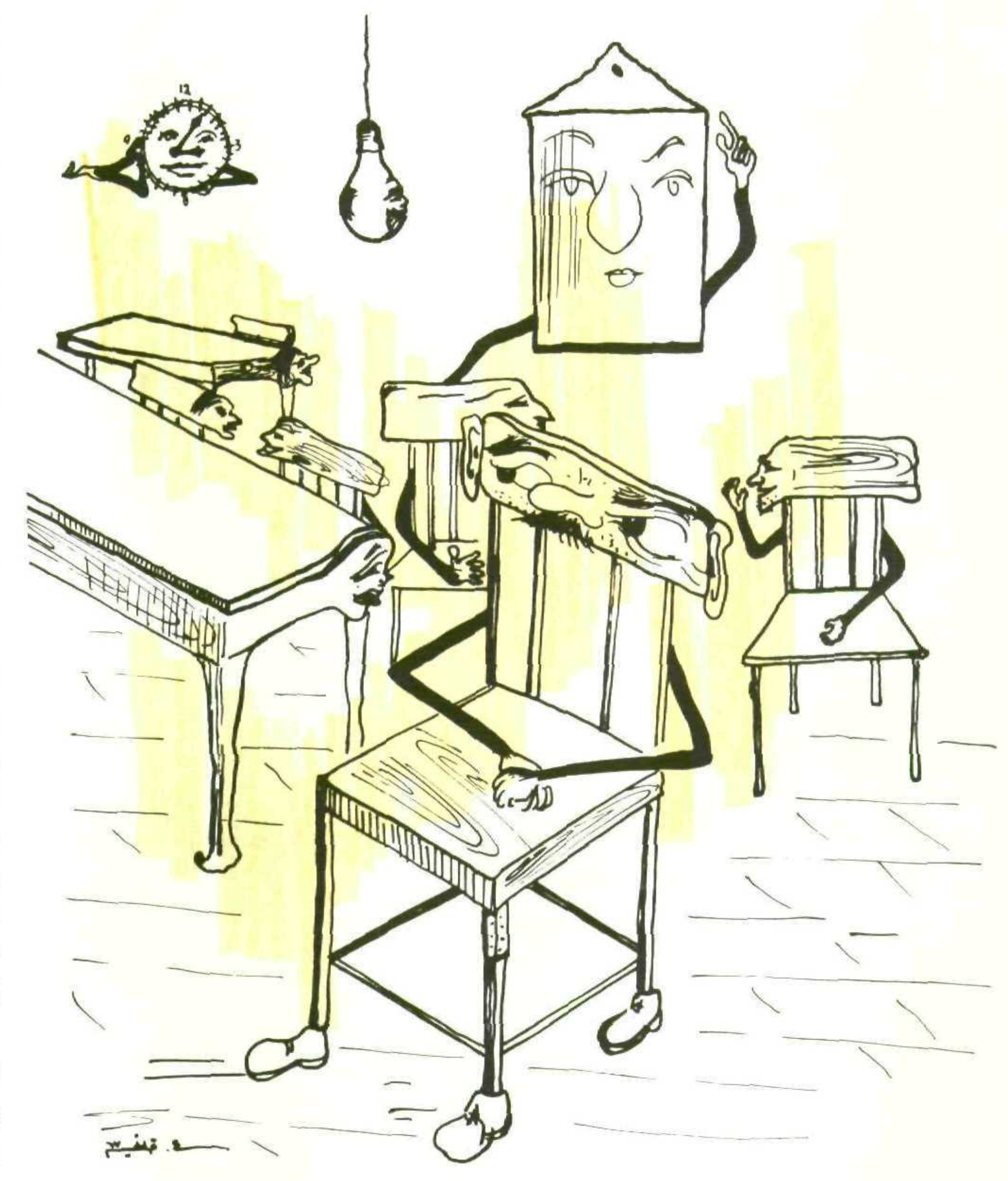
قال المقعد بصوت متهدج : « هذا بالضبط ما سأفعله .

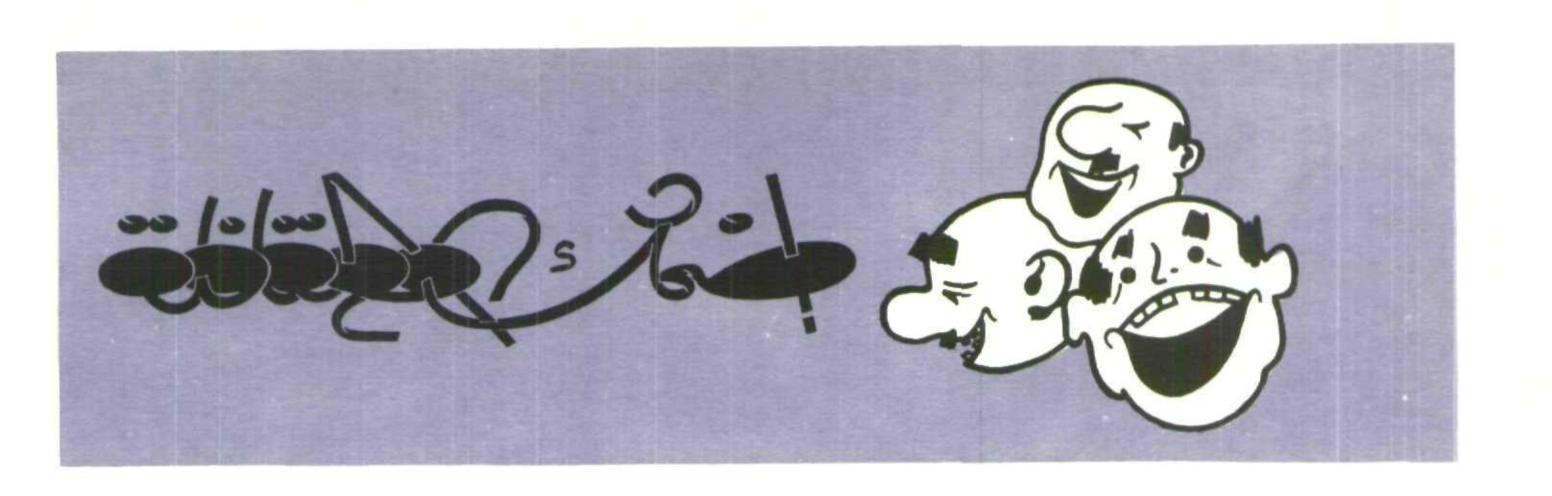
قالت المرآة : « حسنا تفعل » . وعند لقائك رجال الفن لا تنس أن تقول لهم بلساننا ان الانسان هو الانسان مع فارق طفيف . انسان الغابة كان يقتل ليعيش ، وانسان المدينة يقتل رغبة في السيطرة والظهور والثراء . » وعندئذ قاطعها المقعد :

« على رسلك ... فكثيرا ما يحول الفن بين الانسان ونزعة الشر ، فالانسان حين يصنع الفن يتجرد من طينته ويميل الى الخير . فيرهف حسه وتسمو مشاعره ويصفو وجدانه . »

وران الصمت والسكون على سائر ما في القهوة ، فاسترسل المقعد في الحديث : « وقد كرم الله الفن ، وهدى الناس الى ما يكمن فيه من خير ومتعة . أبدع سبحانه وتعالى في تصويره للصواب والعقاب ، وفي سرد قصص الانسان منذ الخليقة فكانت فنا رائعا تنطبق عليه الشروط التي عرفت والتي ستعرف . كما أبدع في خلق السموات والأرض والبحار والجبال .... ثم وصف لنا كيف خلق ذلك كله ، وما خلقه الا بالحق . وشرع الانسان ينظر ويتأمل ويمتع النظر فيما أبدعه الخالق سبحانه . »

وسكت المقعد ليفسح المجال للساعة التي جعلت تدق تن ... تن ... واحصى السمار دقاتها فاذا بها ست ، فعرفوا أن قد أدركهم الصباح ، فسكتوا عن الكلام المباح .





زال السبب

كانت زوجة تشكو الى زوجها سوء حال البيت الذي يسكناه ، وكانت تطلب منه أن يستأجر بيتا آخر . وفي مساء أحد الأيام عاد الزوج مغموما ، وقال للزوجة : « لقد ضاعف صاحب البيت أجرته ، وأشعرنا بوجوب المغادرة ان لم نقبل » .

فأجابته الزوجة : اذن لا داعي لأن ننتقل الى بيت آخر .

كل ما يملك في علبة سيجار

التقى أحد أصدقاء الأديب « مارك توين » به وهو يحمل صندوق سيجار كبيرا بين يديه . فدهش الصديق ، وسأله قائلا : « انك وعدت أن تكف وتمتنع عن التدخين ، فما هذا الذي تحمله ؟ » .

فقال الأديب : « ان هذا الصندوق لا يحتوي على سيجار ، ولكني أحمل فيه ممتلكاتي ، لأني غيرت مكان سكني » .

النوم رأي

دعى مخرج روائي أحد النقاد ليشاهد العرض التجريبي لاحدى التمثيليات ، ويبين رأيه فيها . وخلال العرض نام الناقد ، فلامه المخرج قائلا : « كيف تنام ، وأنت تعلم أني أود أن أعرف رأيك في الرواية ؟ !. » .

فقال الناقد : « يا بني ، ان النوم رأي أيضا ! »

لم يصل الى هذا الحد ..

عندما رأى الطفل أن الأسرة سرّت جدا بنتائج أخيه الكبير في المدرسة قال : « اني حصلت مائة على مائة في الحساب » .

فقال الأب : « اني لا أعلم أنهم يعلمون الحساب في الروضة ! كم يساوي واحد مع واحد ؟ » . فقال الصغير بعد تفكير وتأمل : « انا لم نصل في التعليم الى هذا الحد . »

المتكلم .. غير مهم

تعرف صحفي خجول على فتاة من عائلة كبيرة ، ولم يعرف كيف يطلب يدها أو يخاطبها في موضوع الزواج . وتشجع مرة واتصل بها هاتفيا ، وقال بصوت متهدج : أريد أن أتزوجك ، فهل توافقين ؟ » .

فردت الفتاة : « طبعا ! طبعا موافقة .. من الذي يتكلم؟ » .

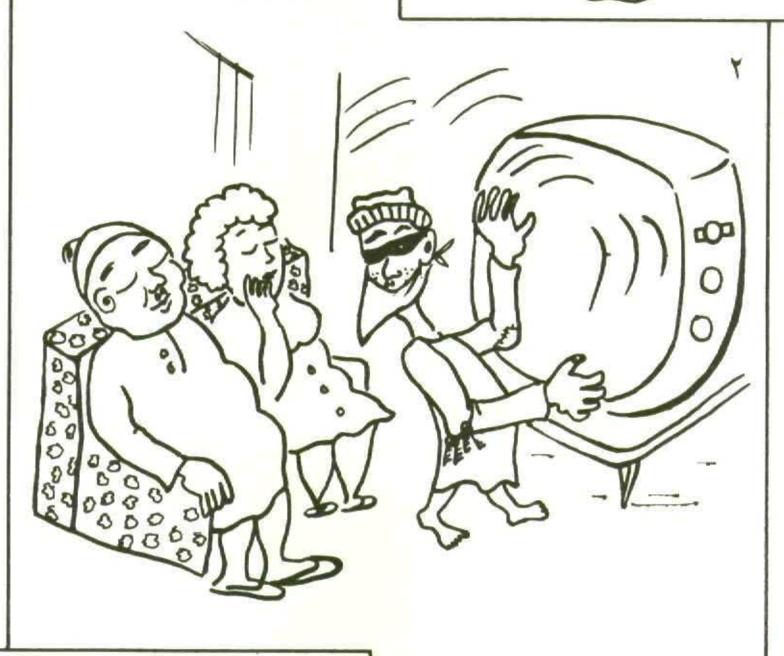
تطور في الزراعة !

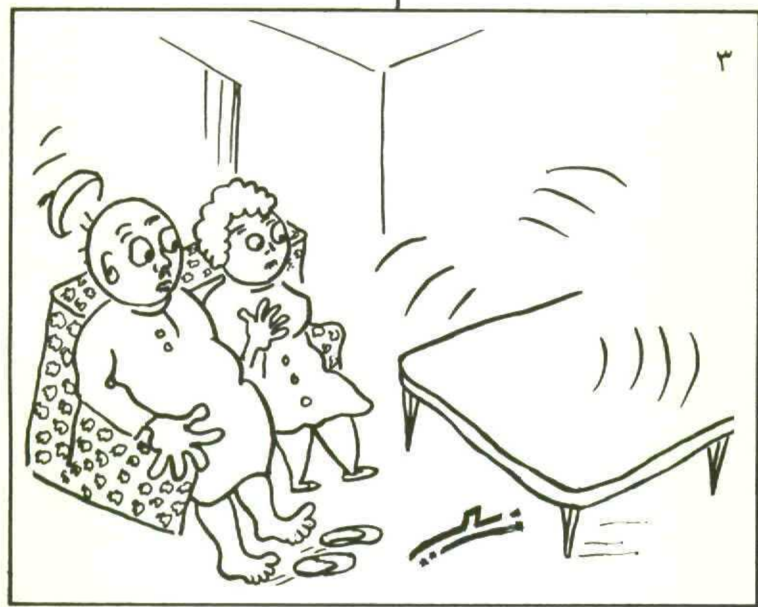
سأل رجل صاحبا له : « ما هو التطور الكبير الذي طرأ على الزراعة خلال الثلاثين سنة الماضية ؟ »

فرد الصاحب : « أنك لا تستطيع في الوقت الحاضر أن تميّز بين ابنة الريف وابنة المدينة . »

الطفل يملح !!

كان الطفل في الخامسة يراقب أمه وهي تغير ملابس أخيه الصغير . وعندما لفّته ونسيت أن ترش عليه « البودرة » قال الطفل مذكرا : « يا ما ما ، نسيت أن تملّحيه ! » .





دليل النجاح !!

قال مزارع : « كانت حديقتي ناجحة جدا هذه السنة لدرجة أن جاري ربح الجائزة الأولى في تربية الدواجن » .

بقية المقال المنشور على الصفحة (٢)

وظرفا الوجبتين هما : بالنسبة للافطار ، اذ أن المغرب أي عند مغيب قرص الشمس عن أفق البلد الذي يقيم فيه ، وبالنسبة للسحور قبيل طلوع الفجر الصادق بالنسبة للبلد الذي يستوطنه . هذا وان تحديد أوقات الطعام والشراب وضبطها بدقة واحكام هما من الأمور الطبية التي تساعد على حفظ الصحة ، وتنمي النشاط العام ، وتريح الجهاز الهضمي من عناء التخبط في الأكل والشرب بدون ميعاد مقنّن رتيب .

وقد انفرد دين الاسلام بهذه الفريضة ، التي هي تقرير شهر كامل من بين أشهر السنة الاثني عشر بأداء الصيام فيه بكامله حتما محتوما على كل معتنقي هذا الدين الحنيف ممن أشرنا الى أوصافهم فيما سبق . ولهذا التقرير أهدافه المزدوجة المثلى للمسلم ، سواء في نفسه أم في روحه ودينه ، أم في جسمه وصحته ونشاطه .

فمن ناحية النفس نشعر ونحن نؤدي الصيام طيلة بياض النهار بتجربة رائعة ملهمة ، تتشخص فيها وفي قرارة أعماقنا غريزة الاطمئنان وطبيعة الهدوء والراحة النفسية ، التي لها مفعولها الكبير في رفع المستوى الفكري والصحي لدينا . ومن ناحية الروح نشعر ونحن نؤدي هذه الفريضة المقدسة أن أرواحنا قد سمت وخلصت من الأدران ، فهي ترفرف في جو شاعري طاهر نضير . ومن ناحية الدين نحس ونحن نقوم بهذا الواجب المهم أننا انما نقوم بطاعة خالقنا الذي أسدى لنا كل نعمة وخير ، والذي تجب علينا طاعته لأنه موجدنا من العدم . وتؤدي بنا هذه الطاعة الى جو من الغبطة والمتعة وارتياح الضمير ، يقصر دون وصفه البيان .

أما من ناحية الجسد فغير خاف ما يرزح فيه الواحد منا طيلة أيام السنة — ما عدا شهر رمضان — من التخمة بألوان المآكل والمشارب التي يثقل عليه هضمها ، مما يفتر نشاط معدته ويكاد يشل حركتها أحيانا . فإذا جاء الصيام وأدرك المؤمن أنه مطالب فيه كله بالتخفيف من مأكوله ومشروبه ، لأن الصيام انما شرع له للحد من شهوات الأكل والشرب واجرائها في أضيق نطاق ممكن ، حفاظا على صحته من أن تؤثر عليها عاديات الطعام والشراب ، فإنه في هذه الحالة ، اذا طبق مستلزمات الصيام المشار اليها ، يشعر بأن صحته تحسنت لا محالة ، ويحس بأنه أراح جسمه من عناء كبير ، وأنقذه من متاعب كثيرة . وفي ذلك اشغال هادىء لجسمه فيما خلق له بصفة معقولة ومتزنة ومنظمة .

والله لطيف بعباده ، حكيم فيما يشرع لهم ، عالم بأسرار خلقه ، رؤوف بهم رحيم فإنه تعالى قد شرع للمؤمنين بعد الصيام مباشرة عيدا باسما مشرقا وممتعا للمسلمين . وهذا العيد هو عيد الفطر الذي فيه يمارسون ألوان المتع المباحة مما كان ممنوعا عنهم في بياض أيام الصيام ، ومما كان مباحا فيها على السواء . ويرتدون جميل الملابس وفاخرها ، ويأكلون فاخر الأطعمة ودسمها ، ولا ريب في أنهم يشعرون بأن الله أكرمهم بهذا العيد وانهم نالوا به تنفيسا وترويحا ، بعد أن قدموا له طاعة الصيام التي هي له خاصة ، والتي هو يجزيهم بها أفضل الجزاء . وهم في هذا العيد لا ينسون بؤساءهم ولا فقراءهم ، فيكرمونهم مما أكرمهم الله .

وبذلك يكون المسلمون في صيامهم وعيدهم قد نالوا الحسنتين ، وفازوا بالسعادتين ، وكانوا المجتمع المثالي الأفضل .. فأهلا وسهلا بشهر الصيام ، شهر العبادة المخلصة ، والمحبة والوئام والسلام .

بقية المقال المنشور على الصفحة (١٥)

مفهوم ، فلا تعدو أن تكون كلاما موزونا مقفى .

ثم تغيرت ألوان سهراتي ، وبالتالي ذكرياتي بعد المرحلة الابتدائية . فاستولت المذاكرة الجادة على معظم السهرة الرمضانية ، كما باقيها في دكاكين الأصدقاء من الذين تقوم دكاكينهم في وسط الأسواق الغاصة بالناس ، للفرجة على السوق والذاهبين الآيبين ، ولقضاء الوقت في ألوان من الأحاديث قد يكون الأدب أحدها ، وكثيرا ما يكون .

وكانت جلساتي عادة اما في مكتبة حيث يطيب حديث الأدب أو الكتب ؛ أو عند تاجر قماش ، حيث لا ترى الا الألوان الزاهية والأقمشة الجميلة ؛ أو عند بائع عطور وتحف ، حيث أصيب أحيانا من عطره ، ونادرا ما أصيب من تحفه ، فهي أغلى من أن تسع لها جيب فتى فقير .

ويرتبط رمضان عندي بذكريات أدبية في باكورة الشباب ، وبعد أن أطلّت مطالعاتي على دنيا الأدب . فقد أخذت أقرأ طه حسين في « أيامه » ، وفي « هامش السيرة » في أحد الرمضانات . كما كنت بعيد صلاة التراويح أجمع أفراد أسرتي ، وهم آنذاك قلة قليلة لا أجد عناء في جمعهم ، ثم أشرع أقرأ لهم طه حسين في صوت أحاول أن أجعله قريبا من صوته من ناحية الأناة والتؤدة ، لا من حيث النبرة . وكنت أجد متعة في كتابيْ الدكتور المؤلف ، وكان أعضاء الأسرة يشاركونني في بعض هذه المتعة ، وان كانوا لا يصبرون لها صبري . ومن ليالي رمضان الممتعة ليالي رمضان في المدينة المنورة ، وليالي رمضان في الطائف .

ففي السبعينيات قضيت شهر رمضان مرة في المدينة المنورة ، وكان من أمتع ما قضيت من رمضانات . صدر الليل كان في الحرم النبوي الشريف ، أما عجزه فكان في دور الأصدقاء من أهل المدينة المنورة الذين كانت لهم دوريات حافلة بأحاديث العلم والأدب والسمر الجميل .

كما أذكر رمضانا من رمضانات الطائف كنت أقضي فيه بعض السهرة في ندوة علمية أدبية هي مجلس الفقيه الراحل الشيخ محمد ابن مانع رحمه الله . وكان حينذاك مديرا للمعارف وكان مجلسه ندوة حافلة بأطايب حديث العلم والأدب والكتب والسمر الممتع .

وبعد ، فما أكثر حديث الذكريات الرمضانية .. وما أطوله .. وما أطيبه .

الحركة الأدبية في العالم العربي

• يصدر قريبا عن وزارة الثقافة والارشاد في دمشق كتاب تذكاري عن أديب المهجر الكبير الراحل الأستاذ نظير زيتون يشتمل على الدراسات وكلمات التأبين التي ألقيت في حفل تأبينه في مسقط رأسه حمص . ومن هذه الكلمات ما كتبه نثرا وشعرا الأساتذة ميخائيل نعيمة . ومحمد عبد الغني حسن . وجورج صيدح . وشكر الله الجر . والدكتور زكي المحاسني ، وعبد الله يوركي حلاق . وسعد صائب ، والبدوي الملثم يعقوب العودات . وعدنان الداعوق ، وغيرهم من رجال الأدب .

• صدرت مؤخرا دراسة كبيرة في الشعر المعاصر وبذور التجديد فيه دارت حول الحياة الخصبة للشاعر الكبير الراحل الدكتور أحمد زكي أبي شادي . بعنوان « أبو شادي وحركة التجديد في الشعر العربي » وهي رسالة أجيزت للدكتوراه وضعها الشاعر الدكتور كمال نشأت .

• ومن الدراسات الجادة التي صدرت في باب الشعر كتاب كبير للدكتور عز الدين اسماعيل عنوانه « الشعر العربي المعاصر — قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية » . ودراسة عن « الملحمة في الشعر العربي » للدكتور سعد الدين الجيزاوي . وفي الوقت عينه حقق الأستاذ عبد المعين الملوحي كتاب « المنصفات » وفيه ما قاله الفرسان العرب من شعر في انصاف خصومهم . وحقق الدكتور رمضان عبد التواب كتاب « قواعد الشعر » لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب . كما صدرت ثلاثة كتب في سير الشعراء هي « علي بن الجهم — حياته وشعره » للأستاذ عبد الرحمن الباشا . و « الأخطل شاعر بني أمية » للدكتور السيد مصطفى غازي ، و « معروف الرصافي » للدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم .

• من الدواوين الشعرية الجديدة التي صدرت حديثا ديوان « الحب والموت » للأستاذ عبده بدوي و « عودة الظلال » للأستاذ عبد الغني سلامة و « أشواق صغيرة » للأستاذ علي محمد الرقيعي و « درب الواحة » للأستاذ علي كنعان و « الطريق والقلب الحائر » للأستاذ أحمد سويلم.

• من الدراسات الشعرية التي تصدر قريبا كتاب « الرصافي وشعره » وقد أشرف على اعداده الأساتذة محمد عبد المنعم خفاجي ، ومصطفى عبد اللطيف السحرتي ، وقاسم الخطاط . و « العقاد شاعرا » للدكتور عبد الحي دياب يتمّم بها بحثه السابق المنشور عن « العقاد ناقدا » وكتاب « القصة في الشعر » للدكتورة عزيزة مريدن .

• صدر مؤخرا باللغة الانجليزية معجم طبي فريد عنوانه « قاموس الطب الفرعوني » وقد صنفه الدكتور حسن كمال . وصدر في الطب كذلك كتاب « الطب والاسلام » للدكتور حامد الغوابي .

• في أدب التراجم والسير صدرت الكتب التالية « أبو الحسن الشاذلي » للدكتور عبد الحليم محمود و « لوكور بوزبيه المهندس المعماري » للدكتور عرفان سامي و « لو كان العالم ملكا لنا » وهو تراجم لخمسة من رجال الموسيقى وضعها الأستاذ سعد مكاوي .

ومن التراجم المعدة للنشر « ميّ » للسيدة وداد سكاكيني و « يعقوب صروف » للأستاذ عيسى ميخائيل سابا و « الشيخ حسن العطار » للأستاذ محمد عبد الغني حسن و « ابن تيمية » للأستاذ عبد السلام هاشم حافظ .

• وضع الأستاذ جلال العشري كتابا عنوانه « لن يسدل الستار » تناول فيه الاتجاهات المختلفة في الحركة المسرحية المعاصرة في العالم وعرج فيه على الحديث عن الكتّاب المسرحيين العرب في يومنا هذا .

• ظهرت في الأدب الروائي روايات طويلة منها « جراح جديدة » للأستاذ عيسى الناعوري و « ست البنات » للأستاذ أمين يوسف غراب و « غرام سنوحي » للأستاذ يوسف كمال أبو زيد و « الغريب » لألبير كامو وترجمة الأستاذ فوزي عطوي . كما تظهر للسيدة جميلة العلايلي رواية « الناسك » .

• ترجم الدكتور عبد الله عبد الدايم كتابا كبيرا في أصول التربية وضعه الفيلسوف الفرنسي أوبير عنوانه « التربية العامة » .

• صدر من كتاب « المغني » للقاضي أبي الحسن عبد الجبار جزءان جديدان هما الثامن وعنوانه « المخلوق » والتاسع وعنوانه « التوليد » . وقد حققهما الدكتور توفيق الطويل والأستاذ سعيد زايد وراجعهما الدكتور ابراهيم بيومي مدكور وأشرف عليهما الدكتور طه حسين.

• ظهر للفنان اللبناني المعروف الأستاذ مصطفى فروخ كتاب « الفن والحياة » . وفيه تعبير بالقلم والريشة عن خواطره وآرائه .

• من الكتب الجديدة التي تتناول مباحث الاستشراق كتاب « نظرات استشراقية في الاسلام » للدكتور محمد غلاّب . و « المستشرقون والاسلام » للأستاذ زكريا هاشم زكريا .

• في الفلسفة ظهرت ثلاثة كتب بارزة هي « فلسفة الفكر الاسلامي » للدكتور سليمان دنيا و « أسس الفلسفة » للدكتور توفيق الطويل والجزء الأول من كتاب « الفلسفة الانجليزية في مائة عام » وقد ترجمه الدكتور فؤاد زكريا .

• من الدراسات الأدبية التي تظهر قريبا طبعة ثانية من كتاب « أدب المهجر » للأستاذ عيسى الناعوري و « الصحافة الاجتماعية » للأستاذ أنور الجندي .

• من الكتب التي تبحث في العلوم المختلفة ظهرت هذه الطائفة « المجال الموحد » وهو في علوم الطبيعة والفلك والذرة للأستاذ محمود مكي ، و « مقدمة في الفيزياء الذرية والنووية » وقد ترجمه الدكتور مصطفى كامل . و « الطبيعة العملية » في جزئين للأستاذ عبد المنعم السيد عشري . و « الدواء من الميكروبات » وقد ترجمه الدكتور ميشيل عيسى . و « النبات » للدكتور عباس فتحي الهلالي . و « تربية دودة الحرير » للدكتور عز الدين فراج والأستاذ محمود محمد مزيد ، و « تربية النحل » للدكتور فراج والأستاذ مزيد أيضا ، و « الأساسيات العملية في علوم الأحياء الدقيقة » للدكاترة أحمد محمد التابعي شحاته وأحمد صبري عبد الغفار ومصطفى كمال أبو الذهب وسعد الدين الراكشي .



مدينة جدة بأنوارها المتلألئة في إحدى
ليالي شهر رمضان، حيث يحلو السهر.

تصوير: عبد اللطيف يوسف